

سلسلة كتب
سور الصين العظيم



تاريخ الصين

(الجزء الثانى)



ب "سور الصين العظيم"

(تاريخ الصين)

(الجزء الثانى)

المقدمة

الصين من اقدم بلاد العالم حضارة وتاريخها المكتوب يعود الى اربعة آلاف سنة . يضم ترابها كنوزا اثرية وفيرة فتشكل علامة بارزة على حضارتها العريقة . وقد بدأت مجلة « بناء الصين » من شهر اكتوبر ١٩٧٨ فى نشر سلسلة من تاريخ الصين . وقد جمعناها طبقا للتسلسل التاريخى — يجمعها هذا الكتيب ، بناء على رغبات قرائنا الكرام .

يقع الكتيب فى جزئين ، الجزء الاول يضم نشاطات الانسان فى العصور البدائية والمجتمع العبودى وبعض الفترات من المجتمع الاقطاعى (قبل القرن العاشر الميلادى) — ١٥ مقالة . اضافة الى الصور الاثرية والايضاحات بالرسوم . والجزء الثانى سيضم تاريخ الصين من القرن الحادى عشر الى نهاية المجتمع الاقطاعى فى اوائل القرن العشرين .

الفهرس

سونغ الشمالية ، لياو ، شيا

بقلم : جياو جيان

استسلم القائد العكسرى تشو ون — على رأس حفنة من قوات الانتفاضة الفلاحية بشمال الصين فى اواخر اسرة تانغ — مخالفا رغبات الثوار ، لعائلة تانغ الملكية عام ٩٠٧ ، وجعل من امبراطور تانغ دمية فى يده بعد ان اعاده الى عرش الحكم . ثم انشأ حكم اسرة ليانغ بشمال الصين ونصب نفسه ملكا عليها . وظهرت فى الخمسين سنة لتأسيس ليانغ اربع اسر اخرى هى : تانغ ، جين ، هان ، تشو (١) ، اسس كل منها سلطتها على وادى النهر الاصفر ، وكذلك قامت دويلة فى شانشى بشمال الصين وتسع دويلات اخرى بجنوبها (٢) . عرفت تلك المرحلة بعهود الأسر الخمس والدويلات العشر كما ذكر ذلك المؤرخون الصينيون . وفى تلك الاثناء عاش ابناء القوميات المختلفة عيشة بائسة فى خضم الاشتباكات القائمة التى نشبت بين الملوك المتصارعين ، وكم كانوا تواقين الى انهاء ذلك الوضع الفوضوى الخارج عن السلطة المركزية .

الاحوال السياسية فى اسرة سونغ

وقع انقلاب عسكرى ضد اسرة تشو شمال شرقى كايفنغ فى الشهر الاول القمرى عام ٩٦٠ ، وخلع رجال الانقلاب على تشاو كوانغ ين القائد العسكرى لاسرة تشو رداء اصفر رمزا لاختياره امبراطورا للبلاد . هذا وقد تأسست اسرة سونغ ، واتخذت من مدينة دونغجينغ (كايفنغ ، مقاطعة خنان ، حاليا) عاصمة لها . واطلق عليها المؤرخون الصينيون اسم اسرة سونغ وكان تشاو كوانغ

ين اول اباطرتها حاملا لقب سونغ تاى تسو (تولى الحكم من عام ٩٦٠ — عام ٩٧٦) وبعد ذلك دارت رحى الحرب بينها وبين سائر الدويلات والاسر الملكية الاخرى فتغلبت عليها ووضع بذلك حدا للشقاق وتحققت وحدة البلاد كلها .

احكم تشاو كوانغ ين قبضته على الجيش بناء على اقتراح تشاو بو (عام ٩٢٢ — عام ٩٩٢) رئيس الوزارة الذى احتال لانتزاع قيادة الجيش من القواد العسكريين من اجل توطيد الحكم الملكى وتعزيز السلطة المركزية المطلقة .

ذكرت الكتب التاريخية : فى يوم من اوائل الخريف عام ٩٦١ ، اقام الامبراطور تشاو كوانغ ين مأدبة حضرها القادة العسكريون من بينهم مشاهير القادة مثل شى شيو شين (عام ٩٢٨ — ٩٨٤) وقدم لهم الاقداح يعبون منها وقال لهم : « لولا كم مالبست رداء الا مبراطور ، ولكنى مازلت قلقا ومضطربا حتى فى النوم منذ جلست على كرسى الحكم » . فسألوه عن السبب فرد عليهم قائلا : « كيف يتصرف احدكم لو خلع عليه ذات يوم رداء اصفر ؟ لا يمكن ان يرفض ذلك . » فلما سمعوا كلامه اخذتهم الحيرة والدهشة وسألوه عن ذلك . فقال تشاو : « هل من شيء افضل من شراء الاراضى الخصبة وتشييد القصور الفخمة لتتمتعوا بالنعيم وراحة البال طول الحياة بدلا من اثارة الشكوك بين الامبراطور وبين الوزراء ؟ » وفى اليوم التالى قدموا استقالاتهم بحجة أنهم مرضى ،وهكذا استولى الامبراطور على قيادة الجيش واعطاهم عطاء سخيا . فاطلق المؤرخون الصينيون على هذه الفترة : « كأس من الخمر ينتزع قيادة الجيش . »

ولم تمض على ذلك مدة قصيرة حتى جرد ولاة الاقاليم من سلطاتهم العسكرية وبعد ذلك اوفد الوزراء لادراة الشئون المحلية فى ارجاء البلاد وآخرين لادارة الشئون المالية بينما وضع لوائح وأنظمة تنص على ان يتكفل الموظفون بجمع وتوزيع الضرائب والجبايا على المؤسسات المحلية والحكومة المركزية . وبالاضافة الى ذلك وضع قاعدة لتكوين قوة لحراسة الا مبراطور ، واوفد الجيوش الى حدود البلاد لحمايتها . وهكذا اعيدت السلطات العسكرية والادارية والمالية الى حكومة سونغ المركزية . ومن ثم انتهى وضع انفصال الاقاليم النائية عن الحكومة المركزية والذى حدث فى اواخر اسرة تانغ .

التطورات الاجتماعية والاقتصادية

كان الشعب فى عهد اسرة سونغ ينقسم الى فئتين : اقلية وهى سيدة الارض تمتلك مساحات شاسعة من الاراضى الخصبة . واكثرية مدقعة تستأجر الارض من الاولى . لذا دفع الكادح نصف دخله السنوى او اكثر كايجارات . ولم يكن يستطيع ان يسند بالنصف الآخر رمقه فضلا عن افراد اسرته ؛ فاضطر الى ان يستقرض من سيدة فى مقابل السداد بضعفين بعد موسم حصاد الخريف . ولما تحسنت العلاقات بين الفئتين فى عهد اسرة سونغ حيث صار بامكان الكادح ان يعيد الارض الى صاحبها الاصلى ويستأجر غيرها من آخر بحرية بعد وفاء الديون تماما . وكان لهذا العمل نتائج مثمرة احرزها الفلاحون عبر النضالات الطويلة المدى فى تطوير الانتاج .

اتقن الفلاحون فن الزراعة ، استخدموا المعزق والمدمة والمحراث فى وسط الصين وشمالها وتوسعت مساحات الحقول المنزرعة . واضافة الى ذلك زرعت بالمجرى الاسفل والاوسط لنهر اليانغتسى واودية نهر مينجيانغ ونهر اللؤلؤ نباتات الجاورس والقمح والذرة والفول من شمال اقليم آنهوى وفى منطقة فوجيان الساحلية الارز من مدينة تشامبا الفيتنامية . ثم نقلت زراعة الارز الى اقليمى جيانغسو ونشجيانغ ووادى نهر هوايخه . وزرعت شجيرات الشاى فى مساحات شاسعة وبمرتفعات فوجيان ، تشجيانغ ، هوبى ، هونان ، آنهوى .

وشهدت المهن الحرفية مثل الحدادة وصناعة الخزفيات والحرير تطورا ملحوظا فى عهد اسرة سونغ ، واستخرج الفحم على نطاق واسع ، فقد كان سكان شانشى وكايفنغ يستعملونه وقودا للطبخ والتدفئة كما انشئت فى اماكن كثيرة معامل الحدادة التى انتجت كميات هائلة من الآلات الزراعية والاسلحة واللوازم اليومية . والجدير بالذكر ان الاسلحةا صبحت اكثر مضاء وذلك باستعمال الفحم فى الحدادة واستخرجت حكومة سونغ سنويا ٣٥٠٠ طن من الحديد فى اواسط القرن الحادى عشر .

انتشر ثلاثون تنورا لصناعة الخزفيات فى انحاء البلاد فى عهد اسرة سونغ اشهرها تنور دينغ بحدود محافظة تشيوييانغ ، مقاطعة خبى ، حاليا والذى انتج كثيرا من الخزفيات والاوانى المختلفة الاشكال . فمثلا ، كانت الاوانى

الخزفية اشكالها عديدة بعضها يشبه الخوخ والرمان وما الى ذلك . شهد هذا التنور تطورات عظيمة على مر الزمن حتى تحول الى عاصمة الخزفيات الشهيرة فى العالم .

تطورت صناعة الحرائر تطورا عظيما فى عهد اسرة سونغ وبلغت ارقى المستويات بمنطقة سيتشوان . فقد نقل الامبراطور تشاو كوانغ ين مئتى نساج من سيتشوان الى العاصمة وبعد ذلك انتشرت معامل نسج الحرائر بادارة الحكومة فى كايفنغ ولويانغ ورونتشو (مدينة تشنجيانغ بمقاطعة جياتغسو ، حاليا) وتسيتشو (محافظة سانتاى ، مقاطعة سيتشوان ، حاليا) فازدادت اصناف المنتجات الحريرية وتعددت الوانها .

وشهدت التجارة تطورا عظيما فى عهد اسرة سونغ فظهرت المحلات التجارية فى المدن الكبيرة والاسواق فى البلدات والارياف اكثر منها فى عهد اسرة تانغ وبيعت فيها الغلال والأقمشة والمواشى والاوانى الخزفية والفخارية ثم تحولت الاسواق الريفية الى مدن صغيرة عبر الزمن .

وكانت عاصمة سونغ مدينة دونغجينغ (كايفنغ ، حاليا) اكثر المدن ازدهارا ، بلغ تعدادها آنذاك مائتى الف عائلة وتعددت فيها المهن الحرفية وكثرت المتنزهات واماكن التسلية التى تجمع فيها كثير من الفنانين بعضهم يعرض المسرحيات ويسرد الروايات الطويلة او القصيرة وبعضهم يقدم الالعاب البهلوانية والمصارعة ولفر يلعب بالكرة (٣) . وفى ذلك الحين ، ظهر رسام شهير تشانغ تسى دوان واخرج لوحة فنية بعنوان : « على ضفاف النهر فى عيد تشينغمينغ » تصف ازدهار العاصمة دونغجينغ ، على امتداد ضفتى نهر بيان ، ويرى المرء فيها المتاجر تنتصب بجانبى الشارع والباعة يهللون ومواكب المارة تتردد جيئة وذهابا .

وكانت النقود الحديدية والنحاسية رائجة فى السوق وكذلك النقود الفضية بينما ظهرت نقود « جياوتسى » ، اقدم النقود الورقية فى العالم فى عهد اسرة سونغ .

تأسيس اسرة لياو وعلاقتها باسرة سونغ

عاصرت عدة دويلات من الاقليات القومية اسرة سونغ ، اهمها اسرة لياو واسرة شيا من قبيلة دانغشيانغ فى شمال غربى الصين .

استقرت قبائل كيتان بوادى نهر لياو واتصلت بوسط الصين فى عهد اسرة وى الشمالية ، وعاش افرادها على الرعى والصيد البرى والنهرى واتجروا فى الماعز والخيل والجلود مع قومية الهان . وامتد نفوذها الى خبى وشانشى فى اواخر اسرة تانغ . وتوجه بعض الفلاحين الهانيين الى شمال السور العظيم فرارا من الحروب المتتالية فيما بين ولاة الاقاليم حيث عاش ابناء هان وكيتان جنبا الى جنب وعلمت الفئة الاولى جيرانها فنون الزراعة والغزل والنسيج وصنع الملح والحدادة وتشييد البيوت والمدن المسورة .

وحد آبكى قبائل كيتان فى اوائل القرن العاشر واهاب بها الى تطوير الزراعة وتشييد المدن المسورة واتقان الثقافة الهانية . ثم اسس دولة كيتان ونصب نفسه ملكا عليها عام ٩٢٦ ثم استبدل كيتان باسرة لياو واختار شانغجينغ (قرب لواء بالين ، مقاطعة لياونينغ ، حاليا) عاصمة للدولة وبعد ذلك امتد نفوذه الى سواحل البحر شرقا ، الى جبل آلتاى غربا ومن الصحراء المنغولية ووادى نهر هيلونغ شمالا الى سهول خبى الشاسعة جنوبا فتجمع فى ظل حكمه قوميات كيتان وهان وهويخه . واضافة الى ذلك احضر بعض العلماء الهانيين لوضع القوانين والانظمة . وفى اواخر حكم آبكى ظهرت اللغة الكتيتانية بدلا من النحوت على الخشب . وعندما جلس ابن آبكى على كرسى الحكم ، طلب منه شى جينغ تانغ القائد العسكرى لأسرة تانغ المعاصرة لكيتان ، ان يساعده على الاطاحة بأسرة تانغ على شرط ان يكون وزيرا لابن آبكى ويضم الارض الى خريطة كيتان . فلما أسس شى جينغ تانغ مملكة جين بعد ابادة تانغ ، عمل على الوفاء بالوعد وعرض على ابن آبكى اراضى شاسعة فى يوتشو ويونتشو وكان ينادى ملك لياو بقوله « يا والدى السلطان » . حينذاك ، تحولت اسرة لياو الى سلطة حكم اقطاعية بزعامة شيوخ القبائل وملاك الاراضى من قوميتى هان وكيتان .

شنت أسرة لياو هجمات ضد اسرة سونغ من اجل نهب الثروات والسكان عام ١٠٠٤ واقتربت قواتها من مدينة تشانتشو شمال النهر الاصفر (عاصمة محافظة بويانغ ، مقاطعة خنان ، حاليا) فاصبحت عاصمة سونغ مهددة .

وفى يوم من ايام الخريف عام ١٠٠٤ وصلت الى امبراطور سونغ تشن تسونغ (٩٩٧ — عام ١٠٢٢) تقارير خطيرة تشير الى وقوع تشانتشو فى قبضة الغزاة

من قوات لياو فاخذه القلق والاضطراب وفى الحال استشار الوزراء فاقترح عليه بعضهم ان يفر الى الجنوب فاحتد رئيس الوزارة كيو تشون (٩٦١ — عام ١٠٢٣) واتهمهم بالخيانة وارتأى بدلا من ذلك مقاومة الغزاة ، وان يكون الامبراطور على رأس الجيش . وبينما هو فى طريقه الى تشانتشو لصحه احد الخونة بالفرار . فقال له كبير الوزراء : « لا سبيل لنا الا ان نتقدم الى الامام ولو رجعنا خطوة واحدة فنسوف تفتر همم المحاربين . » فواصل الامبراطور التقدم الى الامام حتى وصل الى شمال مدينة تشانتشو .

لم يكن امبراطور سونغ يحرص على محاربة لياو بل سعى الى مفاوضات سلمية فكانت النتيجة ان انسحبت قوات لياو وتدفع حكومة سونغ سنويا لها مائة الف اوقية من الفضة ومائتى الف بى (٤) من الحرير . وعرفت هذه الحادثة باسم : « التحالف على حافة تشانتشو » .

وعقب ذلك اقامت حكومة سونغ اسواقا تجارية فى شيونغتشو وباتشو و غيرهما على امتداد الحدود بين البلدين . وكان التجار يبيعون فيها المنتجات الحريرية والارز والشاى والخ ويشترون من تجار لياو الاغنام والخيول والجمال وما الى ذلك . واضافة الى ذلك ، نقلت الى لياو صناعة الخزفيات والطباعة فاتقنها الصناع من قومية لياو وتمكنوا من صناعة الادوات الخزفية وطبع الكتب ومن ضمنها الموسوعة البوذية .

تأسيس شيا الغربية وعلاقتها مع اسرة سونغ

تنقلت قبيلة دانغشيانغ من فروع قبيلة تشيانغ على امتداد مناطق نينغشيا وقانسو وشمال غربى شانشى حاليا للرعى منذ اواسط عهد اسرة تانغ . واحتل الزعماء من قبيلة دانغشيانغ مساحات شاسعة من الممر المؤدى الى قانسو فى اوائل اسرة سونغ . فى بداية الامر لم ينجح حكام سونغ فى اخضاعهم . فوجه زعيم دانغشيانغ وجهه الى اسرة لياو التى منحته لقب ملك شيا وقبل ايضا ما منحته له اسرة سونغ لتعزيز الصلات بين الطرفين . ثم اعلنت مملكة شيا الكبرى على يد زعيم القبيلة يوان هاو عام ١٠٣٨ ، ووقع اختياره على شينغتشينغ (مدينة ينتشوان عاصمة منطقة نينغشيا الذاتية الحكم لقومية هوى ، حاليا)لاتخاذها

عاصمة واسماها المؤرخون الصينيون مملكة شيا الغربية لوقوعها شمال غربى سونغ . اتقن يوان هاو لغة الهان ، وطالع كتب القانون والحرب باللغة الهانية ووضع سلسلة من انظمة التوظيف والتجنيد وكذلك عين بعض الهانيين لادارة مناصالب الهامة وظهرت الى الوجود لغة شيا الغربية فى عهده وبعد ذلك انتقلت شيا الغربية الى المجتمع الاقطاعي تدريجيا .

لقد استوطن فى شيا الغربية قوميات مختلفة من دانغشيانغ وتوفان وهويخه الهان وغيرها من القوميات التى عاشت على الرعى ، وكانت المنتجات المحلية عديدة مثل الابقار والغنم والخيول والملح وانتشرت على امتداد ضفتى النهر الاصفر حقول شاسعة زرع فيها الشعير وشعير الهضاب وكان معظم المزارعين من قومية الهان ، فلما نزلت بهم الآفات الطبيعية يستوردون الغلال من اسرة سونغ .

انقطعت الصلات بين اسرتى سو نغ وشيا منذ تولى يوان هاو الحكم الذى شن الهجمات ضد اسرة سونغ وتكبد كل منهما خسارة بالغة واثرت الحرب التى استغرقت سنوات عديدة على استيراد الغلال واللوازم اليومية من اسرة سونغ فمل الشعب الحرب . ولم يكن بوسع يوان هاو الا ان يسعى وراء تحقيق الهدنة . هذا من جهة ومن جهة اخرى ، رغبت حكومة سونغ فى تحقيق الهدنة بسبب صعوبة النفقات الحربية وانتهى الامر الى ايقاف الحرب بين البلدين عام ١٠٤٤ فعاد يوان هاو وزيرا لامبراطور سونغ الذى منحه سنويا ٨٠ الف اوقية من الفضة و١٥٠ الف بى من الحرير و١٥ طنا من الشاى .

وبعدعقد الاتفاقية بين سونغ وشيا اقيمت الاسواق بمنطقة الحدود بينهما للتجارة فقايضت اسرة سونغ المنتجات الحريرية والغلال والخزفيات وادوات اللك ونحوها بالخيول والابقار والاغنام والابل والصوف . وانشأت شيا الغربية المدارس الابتدائية والعليا على غرارها فى اسرة سونغ واتمت ترجمة الكتب باللغة الهانية الى لغة شيا كما ألف بعض العلماء الكتب التاريخية والادبية والطبية وما الى ذلك .

---

١ ــ كان أسم الأسر الملكية الخمس حين تأسست : ليانغ ، تانغ ، جين ، هان ، تشو .

٢ — الدويلات العشر : شو ، وو ، مين ، وويوى ،
الجنوبية ، تانبيغ ، شو الثانية ، تانغ الجنوبية ، هان الشما
٣ — لعبة الكرة تشير الى رياضة بدنية فى عهد اسرة سونغ .
من الجلد المحشو بالريش ، وتختلف عن الكرة فى يومنا هذا .
٤ — بى : وحدة قياس صينية قديمة تساوى ٣٣ م .

الحروب الفلاحية والاصلاحات السياسية فى عهد أسرة سونغ الشمالية

تضع حكومة سونغ (٩٦٠ – ١١٢٧) حدا لمساحات الحقول المنزرعة فتوسع كبار الموظفين محليا او مركزيا وملاك الاراضى فى شراء الاراضى حتى تجمعت مساحات شاسعة منها بيد فئة قليلة وخاصة فى منطقة سيتشوان حيث كانت نسبة الفلاحين المستأجرين ٧٠ ٪ – ٨٠ ٪ من مجموع سكان سيتشوان آنذاك . وكان الواحد من ملاك الاراضى يستعبد عشرات او عدة مئات بل آلافا من الفلاحين المستأجرين فارضا عليهم الضرائب الباهظة رغم انوفهم فضلا عن ايجارات الأراضى . ولما قام بعض الفلاحين بمزاولة اعمال مثل الغزل والنسيج وقطف الشاى وامثالها اعلنت حكومة سونغ ان الحرائر والقماش والشاى مواد تحتكرها الحكومة ولاتسمح لأحد سواها بالاتجار فيها . وفى نفس الوقت كان الموظفون المحليون ينهبون الأموال من السكان ويفرضون عليهم ضرائب غير معقولة حتى ان الفلاحين الفقراء ازدادوا فقرا على فقر واصبحوا تحت رحمة انياب الجوع وسياط البرد . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، كان ملاك الاراضى وكبار الموظفين يعيشون فى بذخ وترف . فقد جاء فى كتب التاريخ : كان ملاك الاراضى وكبار الموظفين ينفقون الملايين من النقود فى لعبة مصارعة الديكة وكانت ألجمة أحصنتهم من الذهب .

شعار المساواة بين الغنى والفقر

قامت الانتفاضة الفلاحية عام ٩٩٣ بقيادة الفلاحين وانغ شياو بوه ولى شون بمدينة تشينغتشنغ (جنوب محافظة قوانشيان ، مقاطعة سيتشوان ، حاليا) . فقال وانغ منطلقا من الهوة الواسعة بين الغنى والفقر : اننا نقوم بهذا التمرد بسبب عدم

المساواة بين الفقير والغنى وفى سبيل تحقيق المساواة بينكم ايها الفقراء وبين الاغنياء . وكان بذلك اول من رفع شعار تحقيق المساواة بين الفقراء والاغنياء فنهض الفلاحون الفقراء استجابة لدعوته .

احتلت قوات الانتفاضة مدينة تشنغدو عام ٩٩٤ وانشأت هنالك دولة شو الكبرى ونجحت فى السيطرة على بعض الاجزاء من منطقة سيتشوان . وفى الحال ، جمعت حكومة سونغ جيوشا حاشدة لقمع المتمردين حتى انتهت قوات الانتفاضة الى الفشل فى ربيع عام ٩٩٥ .

اصلاح وانغ آن شى

تفاقمت ازمة اسرة سونغ الاقتصادية بسبب توسيع الجيش وزيادة الموظفين . ومع ذلك عرضت الحكومة كميات هائلة من الفضة والحرائر سنويا على مملكتى لياو وشيا الغربية . ولما صعب عليها ان تدفع النفقات العسكرية والمرتبات الشهرية لجأت الى زيادة الضرائب والأتاوى حتى بلغت الاعباء الثقيلة على اكتاف الفلاحين حدا لا يطاق كما كانت ٧٠ ٪ من الحقول المنزرعة بيد البلاط الملكى والارستقراطيين وكبار الموظفين وملاك الاراضى . وكلما وقعت نازلة من القحط او الفيضان اضطر الفلاحون الى الاقتراض من ملاك الاراضى كما غادر بعضهم مسقط رؤوسهم متشردين فى كل مكان . واستمرت الحالة الى واسط عهد اسرة سونغ حتى نشبت الانتفاضات الفلاحية باطراد بينما كانت اسرة سونغ مهددة بمخاطر من مملكتى لياو وشيا الغربية ، فواجهت الطبقة الحاكمة فى تلك الأسرة ازمة سياسية خطيرة آنذاك

وقع الاختيار على وانغ آن شى (عام ١٠٢١ — ١٠٨٦) لتولى رئاسة الوزارة لتحقيق الاصلاحات السياسية حين تولى سونغ شن تسونغ سلطة الحكم عام ١٠٦٩ م وتمنت الطبقة الحاكمة ان يضع الاصلاحات السياسية موضع التنفيذ كيما يتحقق توفير الرخاء للدولة وتقوية الجيش وتخفيف التناقضات الطبقية وانقاذ الحكم الاقطاعى من ازمته الخطيرة . وكان وانغ آن شى يرى ان فقر الدولة يرجع الى قلة المنتجات فوجب ان تتخذ اجراءات لمضاعفتها والحد من استغلال اصحاب الاراضى للفلاحين .

وكانت اصلاحات وانغ آن شى كالتالى :

نظام سداد الديون بالفائدة فى موسم الحصاد :

اذا افتقر الفلاحون الى الغلال فى الايام الفاصلة بين موسم زراعة الربيع وموسم حصاد الخريف اقرضتهم الحكومة مالا او غلالا بفائدة ٢٠ ٪ ، فوضع بذلك حد لاستغلال الفلاحين وجلب للدولة دخولا زائدة

نظام التجنيد :

فرضت الحكومة نفقات معينة على كل عائلة فقيرة أوميسورة وجب على افرادها تأدية الخدمة العسكرية واذا ما تم دفع المال يستغنى عن الخدمة العسكرية . اما عوائل كبار الموظفين وملاك الاراضى فوجب عليها ان تدفع مبالغ معينة عن ابنائهم الذين لا يرغبون فى خدمة الجيش . وكان هذا مفيدا لتخفيض الاعباء الثقيلة على كواهل الفلاحين وتوفير ضمانة للانتاج الزراعى .

نظام الرى واستصلاح الاراضى البور :

شجعت الحكومة على تشييد منشآت الرى واستصلاح الاراضى البور . ومسحت الحقول المزروعة فى انحاء البلاد وسجلت ما استولى عليه اصحاب الاراضى ، وفرضت الضرائب حسب احوال الاراضى كما ونوعا ، ولم يستثن من ذلك كبار الموظفين وملاك الاراضى فحقق هذا العمل للدولة الاقطاعية اموالا طائلة دخلت خزينتها .

نظام الأمن العام :

نظمت الحكومة جميع الفلاحين ، كل عشر عوائل فى وحدة وكل خمسين عائلة فى جماعة ، واذا كان فى كل عائلة فتيان وجب عليها ان تعين احدها خفيرا للجماعة ، ويجرى التدريب العسكرى بعد موسم الحصاد ويحمى المجتمع من الفتن ويلتحق بالجيش حين نشوب الحرب ، مما خفض نفقات الجيش .

نجح القانون الجديد فى تحقيق بعض المنجزات بعد مضى عشر سنوات على تنفيذها فقد بنيت عشرة آلاف من منشآت الرى فى انحاء البلاد فى السنة

السادسة بعد اعلانها ، ارتوت بها مساحات شاسعة من الحقول تبلغ مليونين واربعمائة الف هكتار ، وازدادت الدخول وتعززت القوة العسكرية ، على ان ذلك لم يعجب المحافظين فتعرض لمقاومة عنيفة من قبل ملاك الاراضى وكبار الموظفين كما رفض تنفيذه بعض الموظفين المحليين ، ثم الغى سى ما قوانغ (١٠١٩-١٠٨٥) القانون الجديد حين تولى رئاسة الوزارة .

الانتفاضات الفلاحية بقيادة فانغ لا وسونغ جنانغ

اجتاح فساد سلطة سونغ الحاكمة انحاء البلاد بعد الغاء القانون الجديد اضافة الى عيشة البذخ والترف التى عاشها رجال البلاط الملكى والوزراء فى أيام حكم الامبراطور هوى تسونغ الذى طال من ١١٠٠ — ١١٢٥ .

ذات مرة ارسل الامبراطور رسلا الى جنوب نهر اليانغتسى لجمع الازهار والصخور العجيبة كيما يبنى حديقة داخلية فى القصر . واذا وجد احد منهم فى دار عائلة شيئا مطلوبا اختلطفه ولو هدم الجدران او الغرف لنقله الى العاصمة علاوة على نهب وسلب اموال السكان على يد الموظفين المحليين بحجة جمع العجائب حتى افلست العوائل المتوسطة وباعت العوائل الدنيا بناتها واولادها للحصول على ما يسد رمقها ، والى جانب ذلك فرضت الحكومة عليهم الضرائب المتعددة حتى ضاقت الحياة امام السكان : وفى مجتمع كهذا كان لا بد ان تتفجر الانتفاضات الفلاحية .

حدثت الانتفاضة الفلاحية بقيادة فانغ لا بولاية موتشو (محافظة جيانده ، تشجيانغ ، حاليا) عام ١١٥٠ ، وكان فانغ لا اجيرا لدى احد ملاك الاراضى . عندما اغتصب ملاك الاراضى الصخور والازهار العجيبة لدى الرعاة احس الفلاحون بالقلق والاضطراب فهرب فانغ وامثاله من الفلاحين الفقراء الى الجبال .

ذات يوم ،حبسه ملاك الاراضى فى مستودع لكنه هرب بمساعدة الفلاحين .

وبعد قيامه بانتفاضة صب نقد وتنديدا على الطبقة الحاكمة التى مارست الاستغلال والاضطهاد وصالحت مملكتى لياو وشيا وشيا الغربية .. احتلت قوات الانتفاضة ست ولايات من اثنين وخمسين محافظة بمناطق تشجيانغ وآنهوى وجيانغشى كما قضت على الموظفين الفاسدين . وفى الحال ، حشدت

حكومة اسرة سونغ الحشود لقمع المتمردين فانسحبت قوات الانتفاضة الى المغائر بسبب قلة الغلال والأسلحة ولكن قوات الانتفاضة عقدت العزم على القتال الى آخر رجل .

ومع انتفاضة فانغ لا فى جنوب شرقى الصين حدثت انتفاضة فلاحية بقيادة سونغ جيانغ واصدقائه وامتدت قوات الانتفاضة على امتداد خبى ، شاندونغ ، خنان ، فالحقت ضربات قاصمة بجيش الحكومة ، ولكن انتهت الانتفاضة الى الفشل بسبب القمع الدامى من الطبقة الحاكمة .

جين ، سونغ الجنوبية

ترعرعت قبيلة (موخه) الماء الاسود على امتداد سفوح جبل تشانغباى وأودية نهرى هيلونغ وسونغهوا ثم تشكلت منها قومية نيويتشن فى القرن العاشر الميلادى . اعتاد اهل نيويتشن الارتحال من مكان الى آخر طلبا للماء والكلأ وكانوا ينصبون الخيام من اغصان ولحاء البتولا على ضفاف النهر صيفا ويأوون الى الكهوف شتاء ، واضافة الى ذلك ، اشتهروا بالفروسية والرماية وصنع الأبواق من لحاء البتولا وقد استخدموها فى اصدار اصوات لصيد الأيائل . هذا وكانت المعاملات التجارية جارية مع جيرانهم من القبائل فكانوا يبيعون لهم الخيول والصقور والذهب واللؤلؤ والجنسن والعسل والشمع ويبتاعون منهم ادوات حديدية وسلعا اخرى .

سقوط لياو وسونغ الشمالية على يد اسرة جين

نهضت قبيلة وانيان من اصل نيويتشن فى القرن الحادى عشر ، فبدأ ابناؤها عيشة حضرية وأجادوا الزراعة والسباكة والحدادة ثم وحدوا سائر القبائل على مر الزمن . وفى اوائل القرن الثانى عشر ظهر آقودا من وانيان — رجل معروف بالشجاعة والدهاء — فعين زعيما لقومية نيويتشن . وفى تلك الفترة كان حكام اسرة لياو (٩١٦ — ١١٢٥) يمدون مخالبهم القاتلة الى نيويتشن واجبروها على تقديم الاتاوات الثمينة مثل الصقور الصيادة وغيرها ، فاهاب آقودا بأخوانه الى مناهضة لياو ثم نصب نفسه ملكا لدولة جين عام ١١١٥ متخذا من هويتينغ (جنوب محافظة آتشنغ ، مقاطعة هيلونغجيانغ ، حاليا) عاصمة لها . ومن الجدير بالذكر انه تم ابداع لغة نيويتشن فى بداية تأسيس هذه الدولة .

انتهت اسرة لياو قبيل نهوض دولة جين او ما بعدها بقليل . وكان ملوك لياو يعيشون فى بذخ وترف . وهبت الانتفاضات الشعبية على التوالى فشن الثوار هجمات على قوات لياو فى كل مكان وقتلوا كثيرا من الموظفين الفاسدين . فاغتنمت قوات جين الفرصة لتحتل مساحات شاسعة من الأراضى بينما صالحت

سونغ الشمالية احيانا بقصد توجيه رأس الرمح نحو لياو . وانتهى الأمر الى وقوع ملك لياو الاخير اسيرا بيد قوات جين ربيع عام ١١٢٥ ومن ثم طويت صفحة تاريخ اسرة لياو .

علمت اسرة جين عقب سقوط اسرة لياو ان اضطرابات داخلية نشبت فى سونغ الشمالية (٩٦٠ – ١١٢٧) وعم الفساد ارجاء البلاد فشنت هجمات عنيفة من كل حدب وصوب ضد سونغ الشمالية ايام الشتاء من نفس السنة التى ابيدت فيها دولة لياو . واستسلم بعض قواد سونغ المرابطون شمال النهر الاصفر لقوات جين والآخرون قد ولوا الادبار . وكان الامبراطور سونغ هوى تسونغ (١٠٨٢ – ١١٣٥) قلقا مضطربا فتنازل عن الحكم لابنه سونغ تشين تسونغ (١١٠٠ – ١١٦١) . فاقتربت قوات جين من عاصمة سونغ الشمالية (كايفنغ ، مقاطعة خنان ، حاليا) بعد عبور النهر الاصفر ربيع عام ١١٢٦ . وقد الحقت بالرعاة فى الطرق المؤدية الى العاصمة اضرارا باهظة فى الارواح والاموال .

آنذاك انقسمت حكومة سونغ الشمالية الى فئتين ، الاولى استسلمت وعرضت اراضى شاسعة على حكام جين والثانية وهى جمع غفير من الجيش والشعب عزمت على الدفاع عنها واجبرت الامبراطور سونغ تشين تسونغ على تعيين لى قانغ (١٠٨٣ – ١١٤٠) رئيسا للوزارة الذى عقد عزمه على ان يقود الجيش والشعب للدفاع عن العاصمة وحمايتها وانهزم الغزاة فى عدة معارك ، على ان الامبراطور تشين تسونغ قد بعث رسيلا لطلب الصلح مع الغزاة وعزل لى قانغ عن منصبه ارضاء لقوات جين . ولم يمض على ذلك الا عدة شهور حتى استولت قوات جين على عاصمة سونغ واختطفت قوات جين الامبراطورين سونغ هوى تسونغ وابنه سونغ تشين تسونغ ومن ثم طويت صفحة التاريخ عن اسرة سونغ الشمالية عام ١١٢٧ .

جلس سونغ قاو تسونغ (١١٠٧ – ١٩٨٧) اخو سونغ تشين تسونغ على كرسى الحكم عام ١١٢٧ بولاية ينغتيان (جنوب محافظة شانغتشيو ، مقاطعة خنان ، حاليا) ثم انتقل الى ولاية لينآن (مدينة هانغتشو ، مقاطعة تشجيانغ ، حاليا) جنوب نهر اليانغتسى مستقرا فى العاصمة لينآن ، هذا وقد بدأ تاريخ اسرة سونغ الجنوبية (١١٢٧ – ١٢٧٩) .

عند ما تقدمت قوات جين الى اودية النهر الاصفر نهض ابناء الشعب هنالك لمجابهة عمليات القرصنة والفتك من قبل حكام جين ، فتشكلت جماعات

عسكرية من سكان مناطق خبى وشانشى نصبت خيامها على امتداد سفوح الجبال بجوار الانهار والبحيرات وانطلقوا منها الى شن هجمات عنيفة على قوات جين ، ومنها الجماعة المعروفة بجماعة المقاطع الثمانية التى كانت تشمها على وجوهها : « بالروح والدم ننقذ الوطن ونجابه لصوص جين » وعلى رأسها وانغ يان (١٠٩٠ — ١١٣٩) وجمعت مائة الف نسمة انتشرت على امتداد سفوح جبال تايهانغ بين شانشى وخبى ، وكلما دب النشاط فيها نهضت فئة اخرى تعلن تأييدها . وشكلت تهديدات خطيرة لقوات جين حتى ان سلطة جين الحاكمة لم تعرف الاستقرار فى وسط الصين سنين طوالا مما جعل قواتها تتردد فى التقدم الى الجنوب . هذا وقد استمرت الحروب بين تلك الجماعات العسكرية بشمال الصين وبين قوات جين حوالى مائة سنة .

يويه فى ومقاومة جين

اتجه جيش جين الى الجنوب عدة مرات فى اوائل اسرة سونغ الجنوبية ، فلما عبر نهر اليانغتسى عام ١١٢٩ أخذ الخوف بالامبراطور سونغ قاو تسونغ الذى اسرع فى الهرب الى منطقة تشجيانغ الساحلية حتى نزل بسفينة راسية فى البحر . وآنذاك نهض القواد العسكريون فى اسرة سونغ الجنوبية ومنهم يويه فى (١١٠٣ — ١١٤٢) وهان شى تشونغ (١٠٨٩ — ١١٥١) وامثالهما لقيادة جيوش الى الشمال لمجابهة قوات جين تدعمهم نضالات ابناء الشعب ضد قوات جين . وكانت جيوش سونغ تحارب قوات جين بالتعاون مع الجماعات العسكرية المنتشرة فى الشمال واستعادت الاراضى المحتلة . ويذكر انه اطلق على الجيش بقيادة يويه فى اسم « جيش عائلة يويه » ، وهو الذى اشتهر بمراعاة الانضباط العسكرى والسلوك الحسن وقد وصفه الناس : « لاينهب ولا يخرب ولو ماتت افراده جوعا وبردا . » وكان الجنود شجعانا اوقعوا فى نفوس قوات جين المخاوف كما شاع بين جنود جين آنذاك قول : « ازالة الجبل اسهل وايسر من ابادة جيش عائلة يويه » .

دخل يويه فى على رأس الجيش مدينة يانتشنغ (محافظة يانتشنغ ، مقاطعة خنان ، حاليا) عام ١١٤٠ بينما اقترب منها وو تشو قائد جين العسكرى

وفرسانه فجرى القتال بين الطرفين وانهزمت قوات جين فولت الادبار فاغتنم يويه تلك الفرصة يشجع جنوده على اللحاق بالمهزومين قائلا : « لنصل الى وكر جين عندئذ نعب ايها الابطال اقداحا من الخمور» . فنشطت الجماعات العسكرية فى شمال الصين نشاطا جديا وقطعت خطوط المواصلات المؤدية الى مراكز قوات جين مما أدى الى تردد وو تشو فى القتال .

استعدت قوات جين للانسحاب من مدينة كايفنغ نتيجة الضربات المتتالية من جيش يويه فى ، على ان المستسلمين برئاسة الامبراطور سونغ قاو تسونغ ورئيس الوزارة تشين هوى عملا على خلاف رغبات الشعب خوفا من انتصار جماعة العساكر وخاصة من القوى الشعبية المسلحة التى ستخلق للحكم تهديدات خطيرة اذا ترعرعت عبر عمليات القتال ضد قوات جين . فتآمر قاو تسونغ بالتواطؤ مع رئيس وزرائه لمصالحة مملكة جين وارسل الى يويه فى ١٢ لوحة ذهبية طالبا منه ان ينسحب بقواته من جبهة القتال ، وعندما وصلت يويه فى اوامر الامبراطور عبر عن الحزن والألم قائلا : « تبخرت منجزات عشر سنوات فى لحظة . » وغمرت الجنود والرعاة مشاعر الحزن والألم ، فعادت جين الى امكنة عديدة بعد انسحاب جيش يويه فى . وذهب قاو تسونغ وتشين هوى الى حد عزل يويه فى من منصبه عام ١١٤١ ، واعتقلاه ووضعاه فى السجن ، وفى العام التالى قتل يويه فى بتهمة مجهولة . وكان ولايزال الشعب يحترم يويه لمآثره الحسنة المتجسدة فى مقاومة قوات جين .

عقد الصلح بين سونغ الجنوبية وبين جين عام ١١٤١ وقامت الهدنة بينهما. فنادى ملك الاولى نفسه وزيرا امام ملك جين كما تنازل لاسرة جين عن سيادة الاراضى من نهر هوايشوى شرقا الى القلعة الكبرى غربا (جنوب غربى باوجى ، مقاطعة شنشى ، حاليا) ، وعرضت ٢٥٠ الف اوقية من الفضة و٢٥٠ الف بى من الحرائر سنويا .

انتفاضات فلاحية بقيادة تشونغ شيانغ ويانغ ياو

كان حكام سونغ الجنوبية قد استسلموا لاسرة جين ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فرضوا على الرعاة الجبايا والضرائب بحجة مقاومتها . وعلى سبيل المثال ، فرضت الايجارات على من لايملك ولو غرفة واحدة والضرائب

على الافراد على عائلة حتى من لا فتى لديها . ورغم ذلك اغتنم الضباط والجنود العائدون من جبهة القتال الفرصة لاقتراف الجرائم الفاحشة من النهب والحرق واهانة النساء فعاش الشعب فى عهد اسرة سونغ الجنوبية عيشة بائسة لاتطاق فثارت الانتفاضات الشعبية منها انتفاضة كبرى واسعة النطاق بقيادة تشونغ شيانغ (؟ — ۱۱۳۰) ويانغ ياو (؟ — ١١٣٥) .

قام تشونغ شيانغ بالانتفاضة المسلحة على حافة بحيرة دونغتينغ ، فى اواخر سونغ الشمالية ، رافعا شعار : « المساواة بين الاعلى والادنى وبين الغنى والفقير » بعد شعار « المساواة بين الغنى والفقير » الذى رفعه وانغ شياو بوه ولى شون . وقال : « لن يكون القانون جيدا اذا ما دعا الى التفريق بين النبلاء والعامة وبين الغنى والفقير ، ولو كنت مشرع القانون لدعوت الى تطبيق المساواة بين الاعلى والادنى وبين الغنى والفقير . » هذا وقد جسد شعاره رغبات الفلاحين فى المساواة السياسية والاقتصادية ، رافعا روح الفلاحين المعنوية كما شجع الفقراء بجوار البحيرة على الانضمام الى زعيمهم القائد تشونغ شيانغ .

وقعت الانتفاضة الفلاحية بقيادة تشونغ شيانغ ربيع عام ۱۱۳۰ واسست السلطة الفلاحية واسمت الدولة « تشو الكبرى » ، بعد ان احتلت قوات الانتفاضة الفلاحية مساحات شاسعة تضم ١٩ محافظة قرب بحيرة دونغتينغ فى عدة ايام بعد الانتفاضة ، واعلنت : يعفى من جميع الضرائب و الجبايا من انضم الى الانتفاضة دون الالتزام بقانون سونغ الجنوبية

وبعد مدة قصيرة وقع تشونغ شيانغ اسيرا فى احدى المعارك واستشهد ثم اصبحت قوات الانتفاضة الشعبية تحت قيادة الزعيم يانغ ياو و واصلت الكفاح ضد حكام سونغ الجنوبية ، فارسلت حكومة سونغ الجنوبية يويه فى على رأس الجيش لقمع المتمردين فوقع يانغ ياو اسيرا بيد الجيش الحكومى فاستشهد مظهر البطولة والاباء .

حالة الاقتصاد فى عهد اسرة سونغ الجنوبية

وجه الشعب ضربات ساحقة ضد اسرة سونغ الجنوبية بينما حال دون تقدم الى الجنوب مما دفع الاقتصاد فى الجنوب التطور . والجدير بالذكر ان الاقتصاد

فى الجنوب شهد تطورا ملحوظا بفضل هجرة السكان من الشمال الى الجنوب هروبا من الحروب المتتالية .

زادت مساحات الحقول المروية فى عهد اسرة سونغ الجنوبية وكذلك اتسعت مساحات الارز المنزرعة فازدادت المنتجات الزراعية وتم حصاد الرز مرتين سنويا على امتداد على اودية بحيرة تايهو والمجرى الاسفل لنهر اليانغتسى واحتلت سوتشو وهوتشو (ووشينغ ، حاليا) مكانا رئيسيا فى انتاج الارز . آنذاك راجت فى انحاء البلاد كلمات : «ارز سوتشو وهوتشو يكفى الدنيا .» ثم انتشرت زراعة القطن من قوانغدونغ وفوجيان الى اودية نهر اليانغتسى .

وشهدت الحرف اليدوية ازدهارا نسبيا فى عهد اسرة سونغ الجنوبية وكذلك تقدمت الى الامام فنون الغزل والنسيج وصناعة السفن وغيرها .

واصبحت صناعة الغزل والنسيج القطنى حرفة جانبية فى الارياف المنتجة القطن . وآنذاك ابدعت سلسلة من ادوات معالجة القطن . وقبل عدة سنوات استخرج من احد القبور لاسرة سونغ الجنوبية بمحافظة لانشى ، مقاطعة تشجيانغ ، بساط قطنى سميك فى غاية الدق ويدل الوبر على ان صناعة الغزل والنسيج القطنى بلغت مستوى عاليا فى ذلك العهد . .

وازدهرت صناعة السفن على سواحل البحر والأنهار اذ ورد فى الكتب التاريخية ان الصناع تمكنوا من صناعة سفن متعددة الاصناف منها صنف كبير الحجم يحمل ٥٠٠ — ٦٠٠ شخص ويمخر عباب البحار وصنف صغير الحجم يحمل مائتين او ثلاثمائة شخص ، كما ركبت الابرة المغنطيسية فى كل سفينة . واستخرج مركب من قاع البحر قرب مرفأ هوجه فى خليج تشيوانتشو عام ١٩٧٣ ، بدنه بطول ٢٤ مترا او اكثر وحمولته ٢٠٠ طن وقدر الأثريون بأنه تمت صناعته فى عهد اسرة سونغ الجنوبية وبدا تركيبه متينا نسبيا يصمد للامواج الهائجة .

وشهدت التجارة البحرية تطورا عظيما فى عهد اسرة سونغ الجنوبية ونشطت عدة موانىء رئيسية آنذاك مثل قوانغتشو وتشيوانتشو ولينغبوه . وبقيت آثار الميناء وعنابر السفن قرب تشيوانتشو حتى يومنا هذا بالاضافة الى ذلك المسجد الاسلامى واضرحة الغرباء من العرب والفرس وغيرهم والشواهد الحجرية التى نقشت عليها كتابات تشير الى العلاقات بين الصين والبلدان الاجنبية ، وان

دلت هذه على شيء فانما تدل على ازدهار المواصلات البحرية والتجارة الخارجية في تشيوانتشو في ذلك العهد . وفي ذات الوقت امتدت التجارة الخارجية الى اليابان وكوريا شرقا والى غرب آسيا والبلدان الافريقية بينما تعززت التبادلات الاقتصادية الودية بين الصين والبلدان الاجنبية . وفي الآونة الأخيرة اكتشفت الأواني والرقائق الخزفية لأسرة سونغ في اليابان ، الملايو ، اندونيسيا ، باكستان ، سيريلانكا ، آسيا الغربية وافريقيا .

الثقافة فى عهد اسرتى سونغ الشمالية والجنوبية

ازدادت العلاقات الاقتصادية فيما بين مختلف القوميات الصينية فى الفترة ما بين القرن العاشر والثالث عشر وازدهرت الحرف اليدوية والتجارة وخاصة الاقتصاد فى المدن اكثر من السابق وبالتالى تقدمت الثقافة والعلوم التقنية الى الأمام تقدما نسبيا .

ثلاثة اختراعات عظمى

اخترع الكادحون الصينيون القدماء الطباعة والبوصلة والبارود التى نمت وتطورت فى عهد اسرة سونغ (٩٦٠ — ١٢٧٩) .

وفى ذلك الوقت ، طبعت الكتب بالنحوت على الخشب وكانت الكتابة انيقة والتجليد رائعا على ان تلك الطريقة حملت معها بعض العيوب اذ لا بد لكل صفحة من الكتاب من قطعة خشبية منحوتة ، وعلى سبيل المثال كان النحات تشانغ تو شين فى عهد اول اباطرة سونغ ، تاى تسو (٩٢٧ — ٩٧٦) قد اخرج المحاورات البوذية ، ٥٠٤٨ جزءا ، بعد النحت على ١٣٠ الف قطعة خشبية وقد استغرق فى ذلك العمل ١٣ سنة ثم ابدع بى شنغ (؟ — ١٠٥١) فن الطباعة بالحروف المتحركة فى منتصف القرن الحادى عشر . فى البداية ، استخرج الطفل الطينى واستعمله فى صناعة قطع صغيرة مربعة ونحتت كلمات هانية واحدة تلو الاخرى على كل قطعة ثم وضعت فى الفرن لشيها حتى تتحول الى قطع فخارية . تمكن العامل من تفكيك الحروف الفخارية بعد اتمام طبع الكتاب بها ثم استعملها فى طبع الصفحات التالية . . . لذا اسمى الناس الحروف الفخارية حروفا متحركة . هذا وقد فتح فن الطباعة بالحروف المتحركة صفحة جديدة فى تاريخ الطباعة العالمى . ثم ظهرت الطباعة بالحروف الخشبية والقصديرية فى الفترة ما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر فى عهد اسرة يوان (١٢٧١ — ١٣٦٨) .

وربما نقل فن الطباعة بالحروف المتحركة من الصين الى كوريا واليابان ومصر حتى اوربا بعد القرن الرابع عشر ، فساهم مساهمات عظيمة فى تطوير الثقافة والحضارة فى العالم .

كشف الكادحون القدماء الصينيون فى عهود الدويلات المتحاربة (٤٧٥ ق م — ٢٢١ ق م) عن خواص الابرة المغنطيسية فابدعوا نوعا من المقاييس على اساس تلك الخواص لتحديد الجهات الاربع واسموه « المتجه الى الجنوب » ، وهو عبارة عن قطعة مغنطيسية على شكل مغرفة وقرص نحاسى نقشت عليه مواقع الجهات . ولو دفع المرء المغرفة لدارت على القرص فاذا وقفت عن الدوران استقر مقبض المغرفة على موقع الجنوب . بدأ الناس فى عهد اسرة سونغ الشمالية يستعملون الابرة المغناطيسية فى تحديد الجنوب ، وفى بادىء الامر ، وضعت الابرة المغناطيسية على طرف الكأس ثم ركبت على قرص البوصلة حتى تم صنع البوصلة المسماة بالابرة المتجهة الى الجنوب والملقبة بالابرة ذات القرص ، وقد استعملت فى الملاحة . فتنقلت السفن الصينية المجهزة بالبوصلة دوما بين الصين وبين آسيا الجنوبية والهند للتجارة كما ان العرب والفرس الذين استقلوا السفن الصينية حاملين التجارة الى مختلف البلدان اتقنوا استعمال البوصلة . هذا وقد دفعت البوصلة الملاحة فى العالم الى التقدم والتطور .

اخترع البارود على يد صناع العقاقير المستقطرة منذ قديم الزمان ، فكان عالم الطب سون سى مياو (٥٨١ — ٦٨٢) فى عهد اسرة تانغ (٦١٨ — ٩٠٧) هو اول من دون فى مذكراته طريقة صناعة البارود من نترات البوتاسيوم والكبريت والفحم النباتى وبعد ذلك استعمل البارود فى الحرب فى اواخر اسرة تانغ ثم اقامت حكومة سونغ الشمالية بدورها معامل البارود لمجابهة ممالك لياو وشيا الغربية وجين ، وآنذاك ، ظهرت اصناف مختلفة من الاسلحة الحربية مثل الرشاشات والسهام النارية والمدافع النارية وما الى ذلك . ثم نقل البارود الى اوربا على يد العرب فى عهد اسرة يوان .

العلامة شن كوه

عاش العلامة الشهير شن كوه (١٠٣١ — ١٠٩٥) فى عهد اسرة سونغ الشمالية . كان أبوه موظفا فى الحكومة المحلية . وعندما اشتغل مساعدا لرئيس

محافظة شويانغ ، جيانغسو ، جمع الحشود لتشييد منشآت الرى وحفر القنوات وترميم السدود ، مما ادى الى تطوير الزراعة هنالك . ولقد رأى بأم عينيه الفساد يعم البلاد والعجز يسود البلاط الملكى فاشترك فى الاصلاح الاجتماعى برئاسة وانغ آن شى (١٠٢١ — ١٠٨٦) . وعندما عزل عن منصبه فى شيخوخته استقر فى حديقة مونغشى (ضاحية تشجيانغ الشرقية بمقاطعة جيانغسو ، حاليا) واشتغل بتأليف الكتب ونشر العلوم حتى اتم تصنيف كتاب على شكل مذكرات واسماه : « القلم فى حديقة مونغشى » والكتاب مواضيعه تتعلق بالسياسة والاقتصاد والثقافة والحرب والعلوم والفنون وغيرها ، ودون فيه ما احرز من المنجزات العلمية فى العهود المنصرمة وخاصة عهد اسرة سونغ الشمالية . كما ذكر فيه درايته بالعلوم والفنون . واضافة الى ذلك ابدع التقويم السنوى ، تقسيم السنة الى ١٢ موسما ، متخذا من اول ايام الربيع رأس السنة الجديدة ، والسنة فى رأيه تنقسم الى ١٢ شهرا من ٣٦٥ يوما ، شهر ٣٠ يوما وآخر ٣١ يوما .. الخ ، والتقويم يلائم المواسم الزراعية . وقيل انه ظهر فى بريطانيا ما يشابه تقويم شن كوه بعد مضى ٨٠٠ سنة عليه . ولما تحدث شن كوه عن البوصلة قال : البوصلة تقدر على توجيهرأسها الى الجنوب على انها تميل دوما الى الشرق قليلا » . وتدل كلماته على انه سبق الاوربيين بحوالى خمسة قرون فى معرفة انحراف المغنطيسة الارضية . لذا يعتبر كتاب « القلم فى حديقة مونغشى » تحفة قيمة من تحف العلوم المتطورة فى الصين .

تسى تشى تونغ جيان

اخرج « تسى تشى تونغ جيان » — كتاب « الموسوعة التاريخية » على يد سى ما قوانغ فى عهد اسرة سونغ الشمالية (١٠١٩ — ١٠٨٦) وهو اشهر الكتب التاريخية ، تم تأليفه حسب الحوادث التاريخية وقد استغرق ١٩ سنة ، يصف الحوادث التاريخية التى امتدت من عهد الدويلات المتحاربة الى عهد الاسر الخمس (٤٠٣ ق . م — ٩٥٩ م) ، ويضم ٢٩٤ جزءا جمع فيما دراسات وخبرات هامة زودت اجيالا عديدة من الحكام بما احتاجوا اليه عند مزاولة النشاطات السياسية ، لذا سمى الكتاب : « تسى تشى تونغ جيان » اى ما يرجع اليه الحكام المشتغلون بالنشاطات السياسية . والكتاب موضوعاته واسعة وغنى

بالمعلومات التاريخية فى اسلوب جزل فى غاية الوضوح . وبين دفتيه معلومات هامة يرجع اليها الباحثون فى تاريخ الصين القديم . واضافة الى ذلك ، اتم المؤلف تصنيف ٣٠ فصلا من فهارس الموسوعة التاريخية .

الأدباء

انتشرت اشعار شعبية جديدة الاسلوب فى مرحلة تطور الاعمال الادبية المتوارثة من اسرة تانغ ، وعباراتها طويلة ، او قصيرة تصلح للقراءة والغناء . ثم تطورت فى عهد الاسر الخمس حتى تحولت الى ضرب جديد من الشعر فى عهد اسرتى سونغ الشمالية والجنوبية وظهرت فى عهد اسرتى سونغ جماعة من الأدباء البارزين :

سو شى (١٠٣٧ – ١١٠١) لقبه دونغ بوه ، ولد فى جبل ميشان ، بمنطقة سيتشوان ، وقد ساهم مساهمات فذة فى تطوير الشعر مركزا على توسيع مواضيعه والتعبير عن المشاعر الجياشة . فاصبحت النصوص الأدبية قوية مؤثرة متحررة من القيود بل تركت تأثيرات كبرى على الاجيال المتعاقبة . هذا وقد ابدع سو شى ضروبا هائلة جميلة من الشعر والنثر .

شين تشى جى (١١٤٠ – ١٢٠٧) لقبه جيا شيوان ، مولود فى جينان ، منطقة شاندونغ ، وقت المواجهة بين سونغ الجنوبية ومملكة جين . التحق بجيش الانتفاضة ضد الغزاة من اسرة جين شمال الصين منذ ريعان شبابه ثم انتقل الى جنوب الصين وعرض على حكومة سونغ الجنوبية خططا فى كيفية استعادة الاراضى المحتلة غير مرة على ان اقتراحاته لم تلق آذانا صاغية . واعماله الأدبية مفعمة بمشاعر الكفاح ضد الاضطهاد القومى هى التى طورت اسلوب الشاعر سو شى فى قرض الشعر ، وكلماته صافية وحيوية وترك لنا تراثا ادبيا قيما من ٦٠٠ نص ادبى .

لو يو (١١٢٥ – ١٢١٠) شاعر وأديب شهير فى عهد اسرة سونغ الجنوبية ، غادر مسقط رأسه فى شمال الصين بصحبة افراد عائلته هربا من مآسى الحروب عاش عيشة متشردة فزرعت فى قلبه افكار الحزن على الوطن والرعاة . شاع صيته فى نظم الشعر وسنه ١٧ سنة ، وهاجت فى شعره امواج البحار مفعمة بالمشاعر

والعواطف واشتاق الى توحيد الوطن شماله وجنوبه وقت المواجهة بين اسرة سونغ وبين مملكة جين وافصح عن آماله فى « قصيدة الى ولدى » التى يقول فيها :

يعلم الانسان ان الدنيا فانية بعد الوفاة ،
لايحن لغير علم الوحدة يرفرف فى السماء ،
لا تنس ان تخبرنى يوم يستولى جيش الامبراطور على وسط الصين
وتطلب من المولى الغفران لى . »

هذا وقد كانت القصيدة عملا رائما انتقل بين الاجيال .

لى تشينغ تشاو (١٠٨١ - ؟) اديبة شهيرة فى عهد اسرة سونغ الجنوبية ، مولودة فى جينان ، بمنطقة شاندونغ . تعلمت على يد ابويها منذ صغرها وتعمقت فى الثقافة ، ثم عاشت ميسورة بعد زواجها . وتزخر اعمالها الأدبية بالهدوء والثبات بينما انجست منها مشاعر الحب الشغوفة بالطبيعة . وعندما شنت قوات جين الهجمات فى اواخر اواخر عهد سونغ الشمالية وقع موطن رأسها جينان بيد الغزاة من اسرة جين فهربت هى وزوجها الى جنوب نهر اليانغتسى فمات زوجها فى الطريق . فلما تقدمت بها السن عاشت حزينة . لذا نجد ان اعمالها المتأخرة تعبر عن الحزن ومفارقة الاقرباء والاهتمام بسلامة الوطن . تركت لنا اكثر من عشر قصائد تحتل جزءا زهيدا من مجموع اعمالها على انها تساعدنا فى تحديد المنجزات التى احرزتها فى ابداع الاعمال الأدبية .

* كان عبدة الاصنام فى قديم الزمان يلبون رغبات الاباطرة فى الخلود بصناعة العقاقير من نترات البوتاسيوم والكبريت وغيرهما بهدف « اعادة الشباب » .

الوحدة والاقتصاد في عهد أسرة يوان

استوطنت في حدود الصين الشمالية قومية قديمة من الأقليات القومية الصينية هي قومية المغول التي تنتسب الى قبيلة شيوى المغولية من اصل شيوى ، وعاشت شرق نهر آرغونة ، منذ اجيال بعيدة واخذت تنتشر في هضبة منغوليا .

ترعرع قومية المغول

كانت قبائل المغول كثيرة العدد وعاشت متنقلة على الرعي كما امتاز ابناؤها بالفروسية ورمي السهام .

كان المغول في القرن الثاني عشر في مرحلة المجتمع العبودي ، واستحوذ النبلاء منهم على اعداد كبيرة من المواشي والعبيد الذين سخروا لخدمة مواليهم في تربية المواشي وحلبها وجز الصوف والدباغة ونسج البسط . وقامت بين قومية المغول وبين القوميات المجاورة علاقات اقتصادية ، فمثلا ، كانت تزود قومية هان بالمنتوجات مثل الخيول والصوف والفراء في مقابل المنسوجات والادوات الحديدية .

هذا وقد دارت الحروب بين رؤساء القبائل بهدف نهب الاموال والأنفس . وعبر الحروب المتتالية فيما بين القبائل خرجت قبيلة قوية في وادى نهر اونان تزعمها تيموجن وهو رجل فذ عمل على توحيد افراد القبيلة والذين لجأوا وشكل قوات عسكرية هزم بها القبائل المجاورة واحدة فواحدة حتى وحد المغول ثم التقى زعماء القبائل قرب منبع لهر اونان عام ١٢٠٦ وانتخبوا تيموجن اعظم خان للقبائل واسموه جنكيزخان فتولى القيادة في ١٢٠٦ — ١٢٢٧ وارسى

اسرة سونغ

استخراج الملح الطبيعى من البئر فى عهد اسرة سونغ . والصورة توضح اخراج الملح الطبيعى عبر الأنابيب الخيزرانية فى منطقة سيتشوان



سرج مطلى بالذهب والفضة فى عهد اسرة لياو

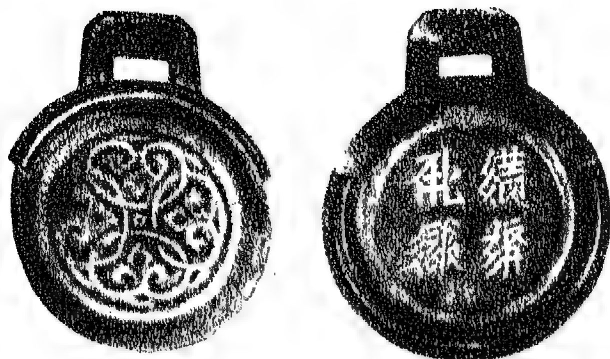


سكة المحراث من ايام اسرة سونغ . اكتشفت فى مدينة لويانغ من مقاطعة خنان



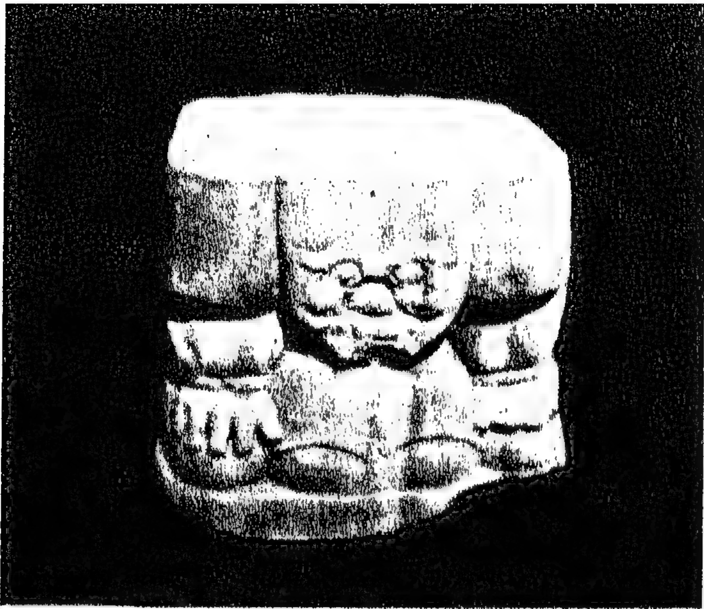
جزء من لوحة فنية بعنوان : « على ضفاف النهر فى عيد تشينغ مينغ » انتجها تشانغ تسى دوان الرسام الشهير فى عهد اسرة سونغ



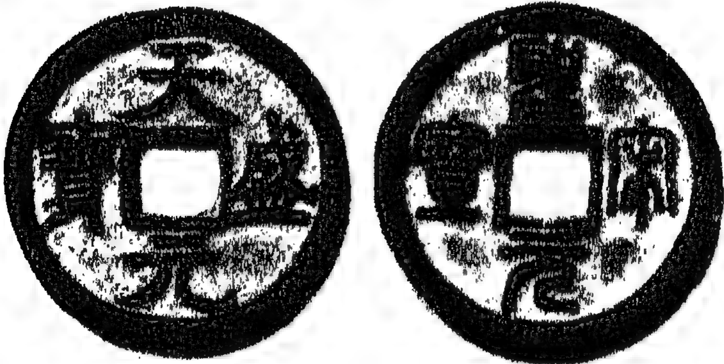


نحت على لوحة برونزية بلغة شيا الغربية

غطاء صندوق مكتظ بخطابات الرثاء وعليه كتابات بلغة كيتان . استخرج من قبر لياو شنغ تسونغ في محافظة لينشي . منطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم



قاعدة حجرية للتمثال فى عهد اسرة شيا الغربية استخرجت من مقبرة الملوك لاسرة شيا الغربية فى جبل خهلان بمنطقة لينغشيا الحكم لقومية هوى . عام ١٩٧٧



عملة نحاسية متداولة فى ايام الامبراطور وى تسونغ لاسرة سونغ (الى اليسار) . وعملة نحاسية متداولة فى الأيام المزدهرة لاسرة شيا الغربية



تمثالان خزفيان لخادمين استخرجا من ضاحية مدينة جينغده . مقاطعة جيانغشي عام ١٩٦٦



الامبراطور تاى تشونغ لاسرة سونغ



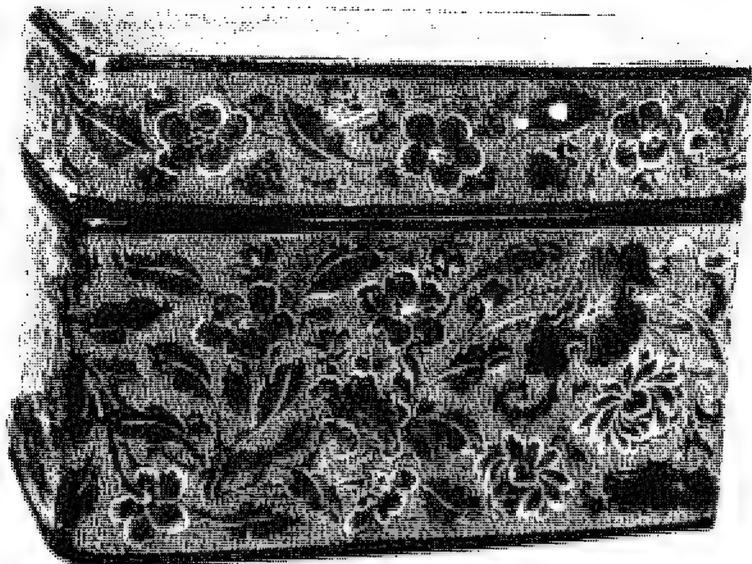
وانغ آن شى



تمثال يوبه فى البطل القومى المشهور



لا زعيم الانتفاضة الفلاحية فى عهد اسرة سونغ



علبة لك مستطيلة دقيقة الخطوط مرصعة بالذهب لاسرة سونغ الجنوبية ، استخرجت من محافظة ووجين ، مقاطعة جيانغسو

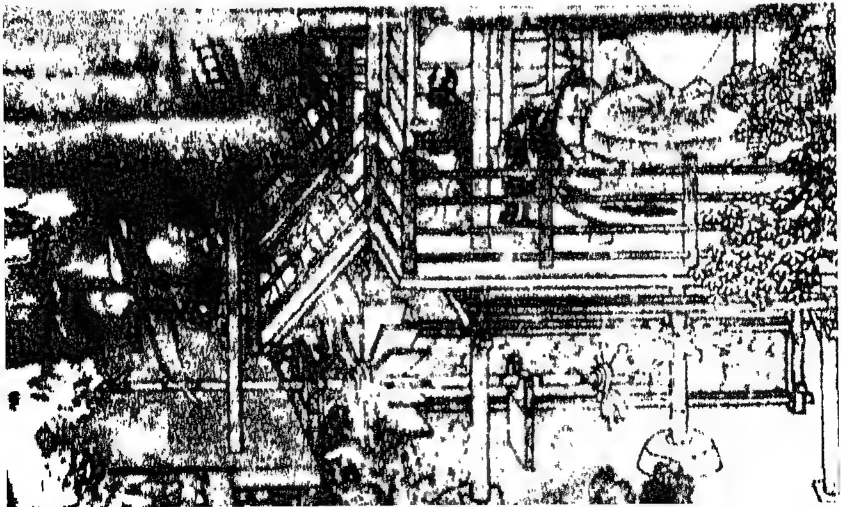


مروحة لك مستديرة مقبضها مجوف ، استخرجت من ضريح تشو يوى من اسرة سونغ الجنوبية ، والذى يقع فى محافظة جينتان ، مقاطعة جيانغسو



ثوب اصفر من الكريشة مطرز ومموه بالذهب ، استخرج من قبر هوانغ شنغ من سولنغ الجنوبية قرب مدينة فوتشو

جدارية لاسرة جين في معبد يالشانغ بمحافظة فانتشي ، مقاطعة شانشي ، في الجدار الشرقي صورة للطاحون

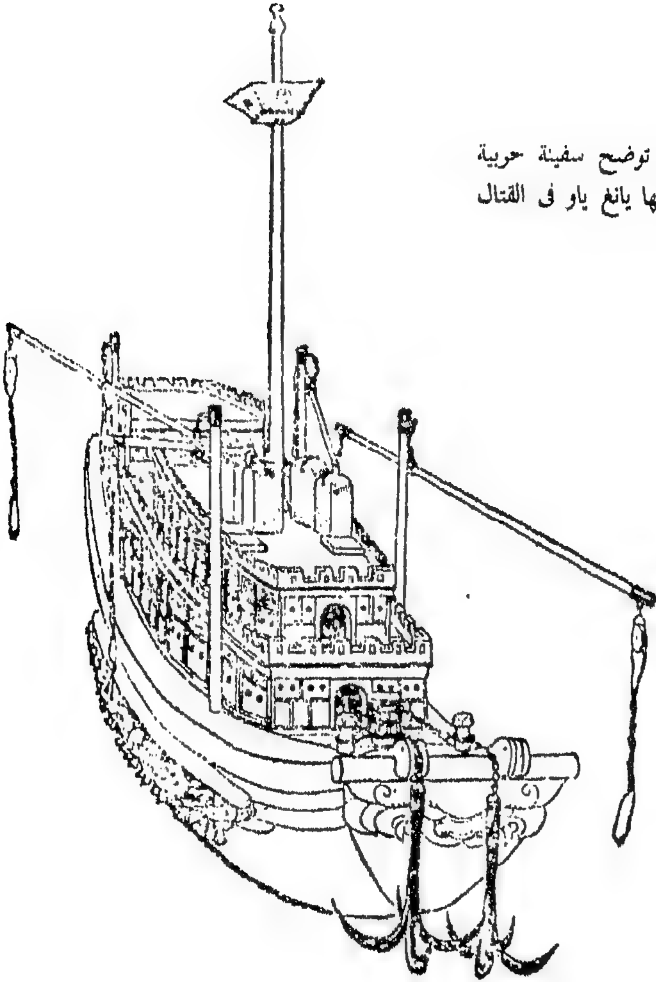




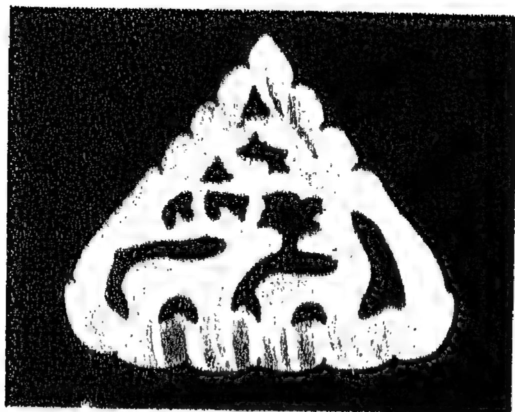
صورة لأمير فى الطراد .. فى الجدار الغربى



صورة منقولة من الجدارية فى الجدار الغربى



الصورة توضح سفينة حربية
استخدمها يانغ ياو فى القتال



زينة يشمية منقوش عليها اثنان من الايائل . استخرجت من احد القبور لاسرة جين . بمقاطعة هيلونغجيانغ

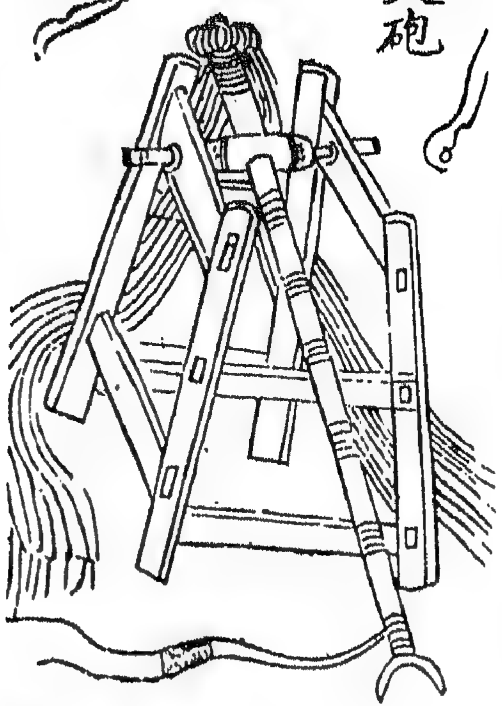
نحوت على الأجر . مصاريع ابواب . في الجدار الغربي باحد القبور لاسر
جين . استخرجت من كومولة شياو دونغ . بمحافظة ورتشي . مقاطعة خنا



شن كه العالم المشهور في اسرة سونغ الشمالية



تمثال بى شنغ مخترع فن الطباعة بالحروف المتحركة



منجنيق استعمل في القـــذائف النارية في عهد اسرة سونغ



قرص الابرة المغنطيسية



سى ما قوانغ



شين تشى جى



لى تشينغ تشاو الشاعرة فى عهد اسرة سونغ الجنوبية

اسرة يوان



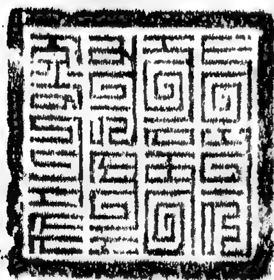
صوره جيكيزخان



مبخرة مصنوعة في قرن لشون . استخرجت من قرية الباغودا البيضاء قرب مدينة هوهيهوت . بمنطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم

قوات الانتفاضة الفلاحية بقيادة ليو فو تونغ تحتل بيانليانغ

صك البيع للفلاحين ف عهد اسرة يوان





ختم سلطانى مغلى .. يرجع تاريخه الى ايام اسرة يوان .. استخرج ف محافظة أ تشينغ بمقاطعة هيلونغجيانغ .. هو شاهد هام على ان قومية شويدادا جزء لا يتجزأ من اسرة الامة الصينية منذ ايام اسرة يوان (١٢٠٦ ـ ١٣٦٨)



ماركوبولو ـ الرحالة الايطالى الشهير فى القرن الثالث عشر

آلة حرالة قديمة ، الصورة من « كتاب الزراعة » ، تأليف وانغ تشن فى اسرة يوان

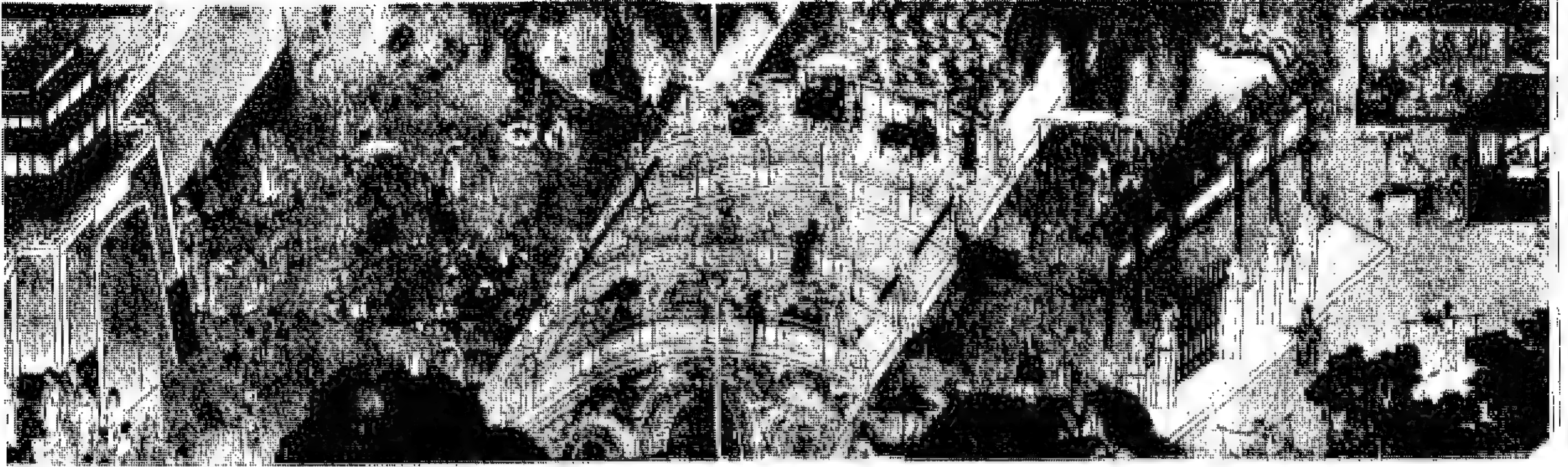


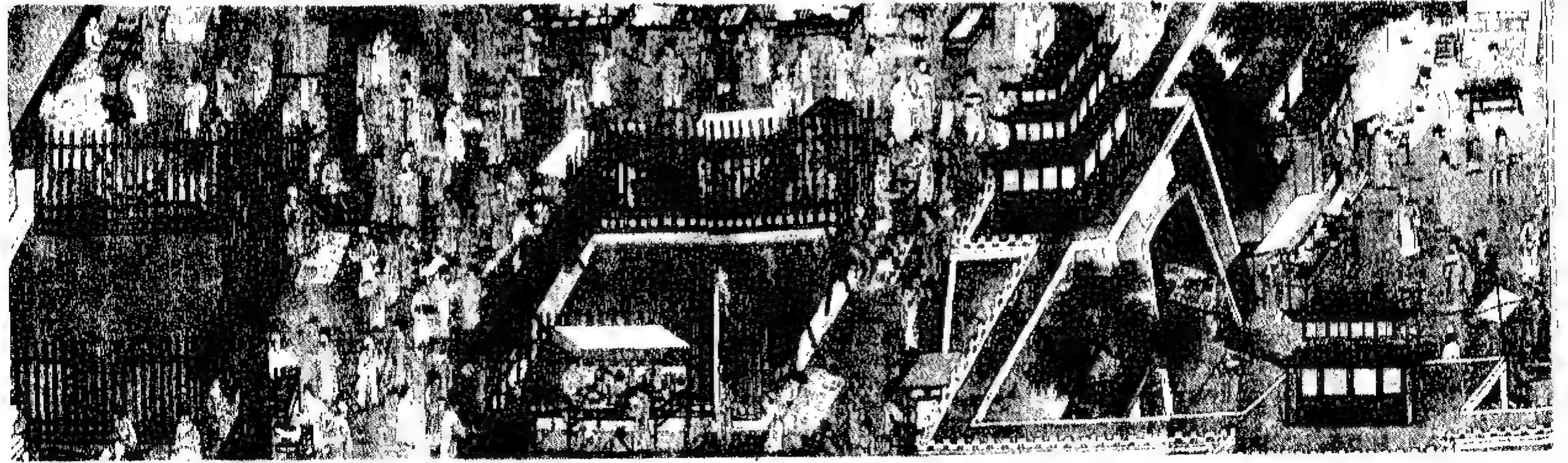


قوه شيو تشنغ مهندس الرى فى اسرة يوان

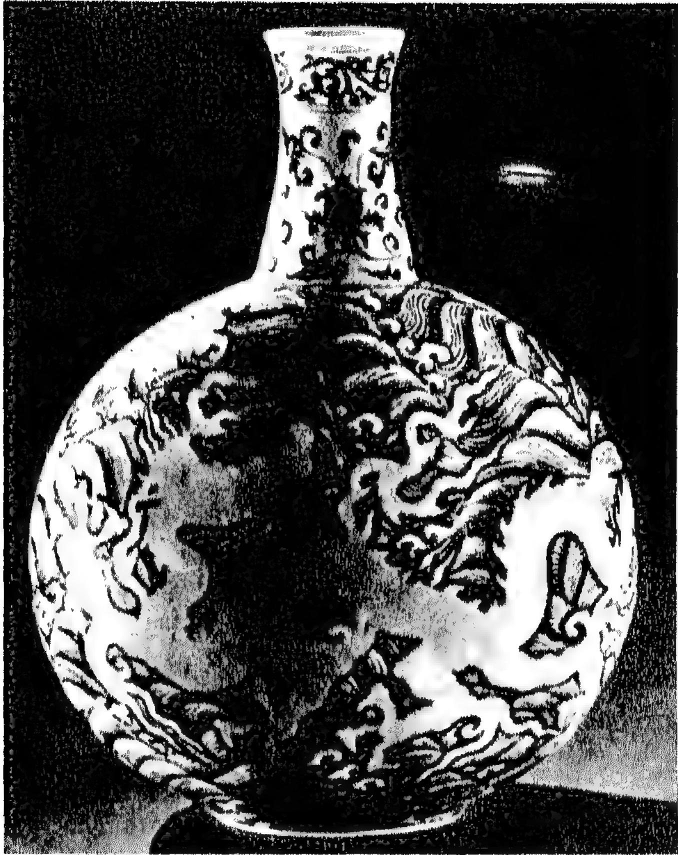


قوان هان تشينغ المؤلف المسرحي فى اسرة يوان





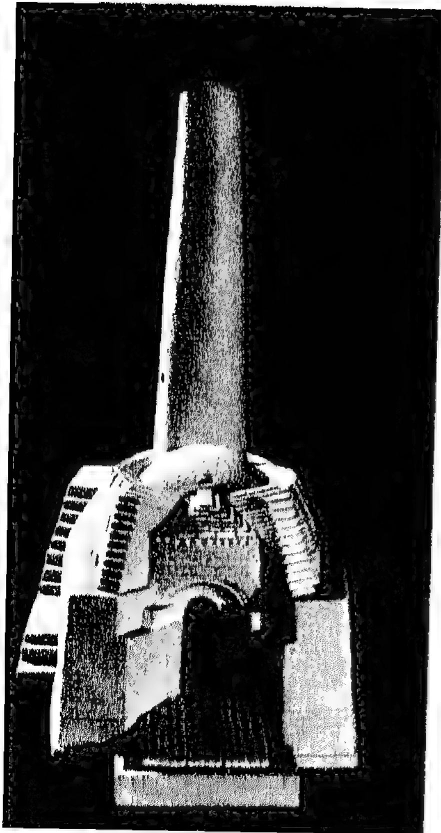
(أ ب ت) — جزء من صورة « الأثار المزدهرة الجامعة فى العاصمة الامبراطورية » ، فى عهد اسرة مينغ



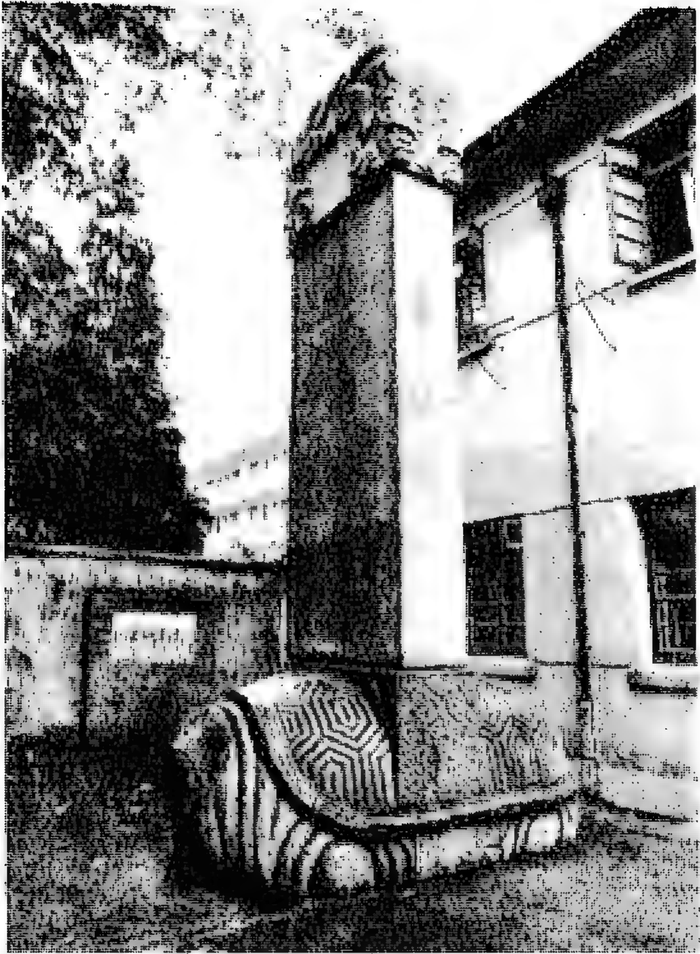
قارورة زرقاء ملونة ، تم صنعها فى عهد شيوان ده ، من فرن الخزفيات الحكومى ببلدة جينغده ، مقاطعة جيانغشى ، فى اوائل عهد اسرة مينغ



لوحة برونزية كان يحملها الحراس الحكوميون فى عهد اسرة مينغ ، ومنقوش عليها : «على كل حارس ان يحملها معه . والويل لمن يهملها او يعيرها او يستعيرها . »



نموذج فرن الخزفيات الحكومى فى بلدة جينغده، مقاطعة جيانغشى



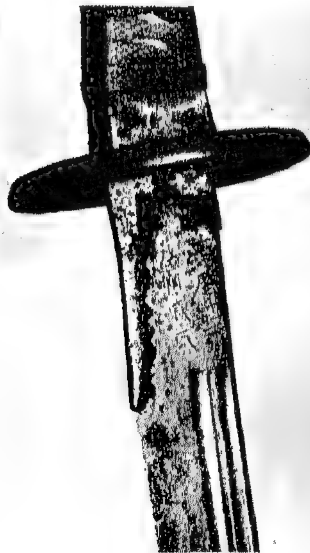
(أ) ـ النصب التذكارى من ايام اسرة مينغ فى مدينة نانجينغ . منقوش عليه رحلات تشينغ خه البحرية الى الغرب

طرق المرساة الحديدية ، فى عهد اسرة مينغ



مدفع برونزى استعمل فى حراسة حدود الصين الشمالية فى عهد اسرة مينغ

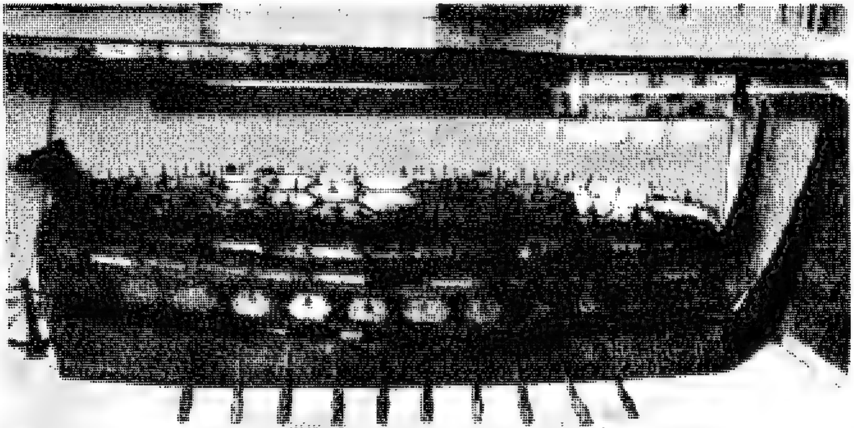
برج المراقبة الذى بنى خارج مدينة تشبوانتشو ، مقاطعة فوجيان للمساعدة على مقاومة الغزاة اليابانيين فى عهد الامبراطور جيا تشينغ لاسرة مينغ



حربة القائد الشهير المناهض للغزاة اليابانيين تشى جى قوانغ فى عهد اسرة مينغ ، عليها كلمات : « عائلة تشى ، محافظة دنغتشو ، شاندونغ . فى العام العاشر الذى تولى فيه الامبراطور وان لى عرش الحكم



شيوى قوانغ تشى مؤلف « الكتاب الكامل فى الزراعة »
فى عهد اسرة مينغ



نموذج لسفينة حربية على شكل السلحفاة صممها لى شون تشن القائد
الكورى الشهير المناهض للغزاة اليابانيين



لى شى تشن الصيدلى العظيم ، يأتى افراد عائلته واصدقاؤه وتلاميذه الى مساعدته فى تصنيف « الموسوعة الصيدلية . » رسم تقليدى بالحبر الصينى ، بريشة : جيانغ تشاو خه

صورة طبق الاصل من كتاب : « الابداع السماوى » تبين ناعورة فى عهد اسرة مينغ



تدريبات عسكرية فى الحقول . صورة من رواية « ابطال البحيرة » التى تم
طبعها فى عهد اسرة مينغ بناء على تنقيح يانغ دينغ جيان . والاصل هذا
محفوظ فى مكتبة جامعة بكين

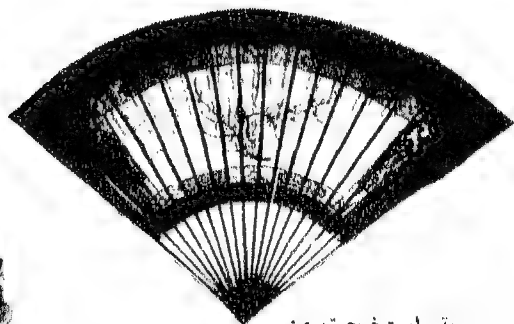
لى تشى ، مفكر
تقدمى فى اواخر
عهد اسرة مينغ





وانغ فو تسى ،
مفكر فى اواخر
عهد اسرة مينغ
واوائــــل اسرة
تشينغ

جزء من مقبر يرجع تاريخه الى اسرة مينغ فى مقاطعة سيتشوان



مروحة استخرجت من مقاطعة جيانغسو

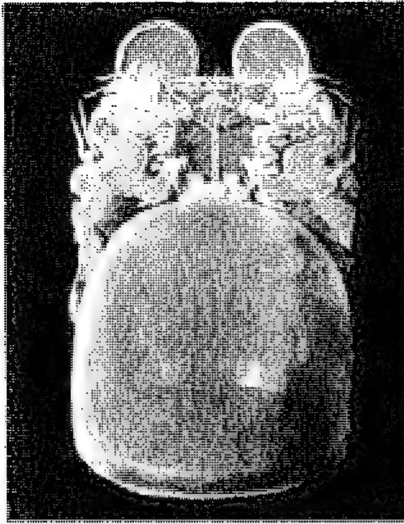


قطعة فضية تزن « تايل » ، استخدمت فى اداء الجبايا والضرائب فى عهد اسرة مينغ



تمثال عسكرى

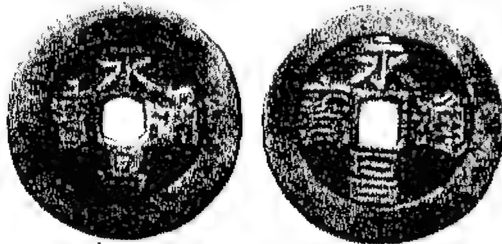
تماثيل خشبيه تم صنعها فى ايام اسرة مينغ
استخرجت من مقاطعة شاندونغ



التاج لامبراطور وان لى
استخرجت من مقابر اباطرة
مينغ شمال بكين

ملبس امبراطورى منسوج من خطوط ذهبية

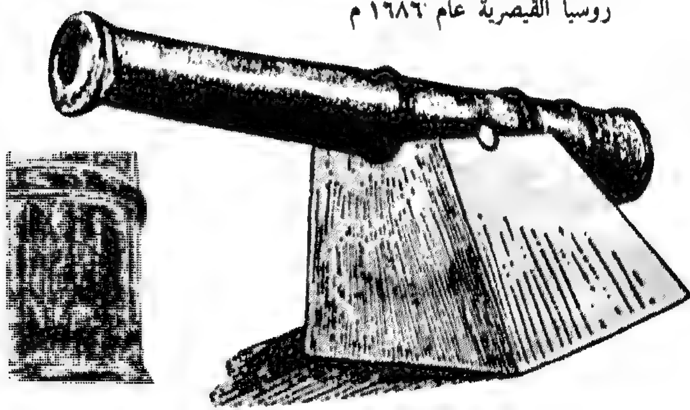
يدخل مدينة بكين ،
ـفى)



نقود نحاسية تم ضربها حينما اسس لى تسى تشنغ سلطة الحكم بمدينة شيآن ، ونقش على كل منها « نقود يونغ تشانغ الرائجة »

صورة اعادة تشنغ تشنغ قونغ جزيرة تايوان الى الوطن الام

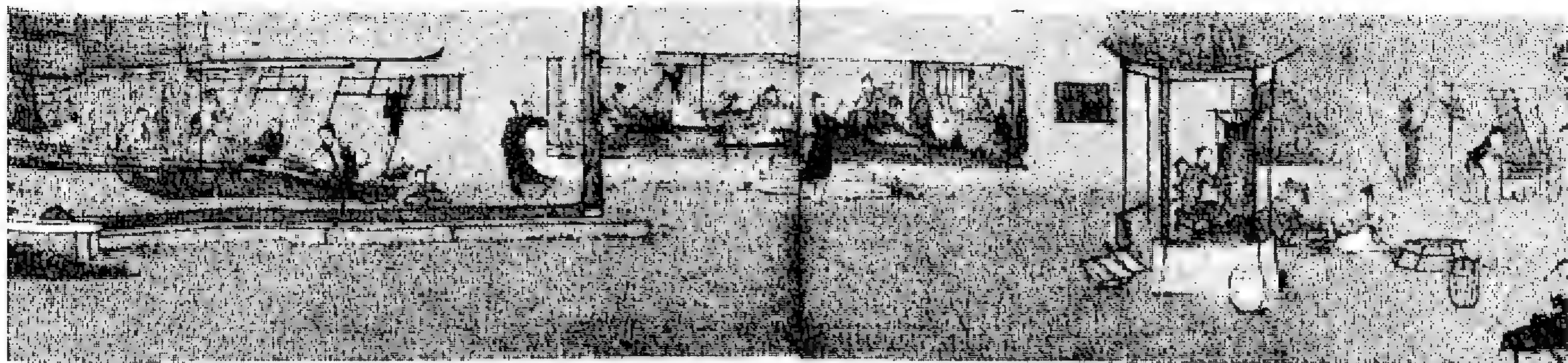
مدفع نحاسى يدعى «القهار الجبار»، استخدمه جيش تشينغ فى قصف جيش روسيا القيصرية عام ١٦٨٦ م



اسرة تشينغ

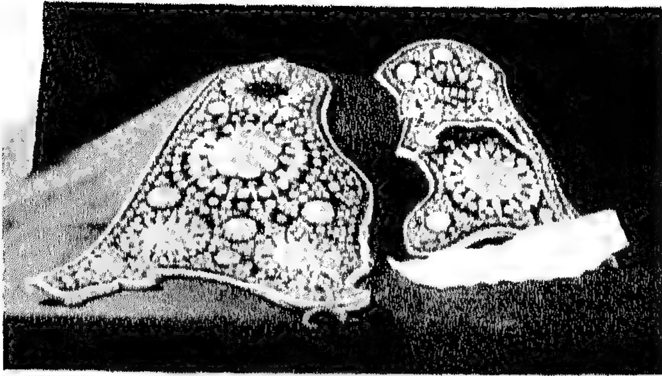


نصب خشبي للامبراطور تشيان لونغ وعليه صورته ، اسرة تشينغ ، في وسط قصر بوتالا في عاصمة التبت





الصورة توضح معامل الحرير والنسيج فى عهد اسرة تشينغ على لفيفة بالاسلوب القديم



جعبة القوس وكنانة السهام اللتان قدمهما دوبداش زعيم قبيلة تورقوت المغولية للامبراطور تشيان لونغ كجزية

جهاز فلكى فى عهد كانغ
شى من اسرة تشينغ



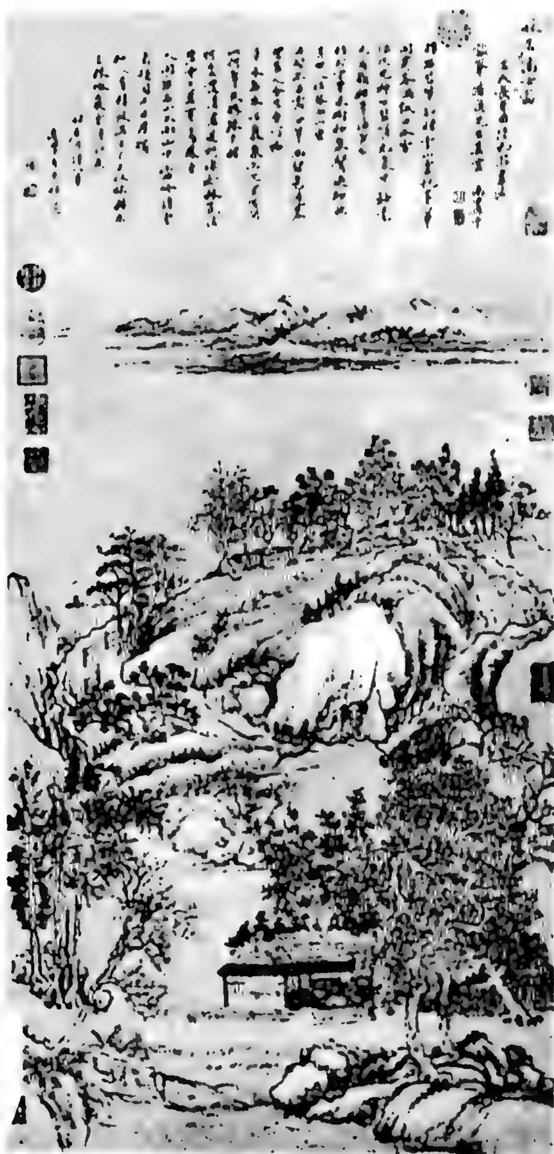
صورة نقاط الوخز للقناة الكلوية فى المجلد الخامس : من كتاب « الكامل فى الطب »



بو سونغ لينغ

تساو شيويه تشين





لوحة « العالم الناسك في الغابة » بريشة : يون شو بينغ



من آثار حديقة يوانمينغيوان

اساس السلطة الحاكمة للمغول .

طبق جنكيزخان مبدأ «توزيع الاراضى على كبار العائلات» بعد توحيد القبائل مما دفع المجتمع العبودى يتحول الى المجتمع الاقطاعى بصورة سريعة . ومن ثم استحوذ بنو جنكيزخان وخواصه على مساحات من الارض والسكان ، وتكلف الكادحون بمزاولة الانتاج الرعوى ودفع الجبايا والضرائب وكذلك اعداد الخيول والسروج والاسلحة والغلال واذا نشبت الحرب تبعوا مواليهم الى قتال العدو . هذا وقد تحول جنكيزخان واهله واقرباؤه ووزراؤه الى سادة اقطاعيين وتحول العبيد والاحرار سابقا الى عبيد رعاة وبالاضافة الى ذلك شرع المبدأ الاقطاعى يعم المجتمع المغولى .

وحدة أسرة يوان

شن جنكيزخان حروبا كثيرة بعد توحيد قبائل المغول فاخضع بقواته العسكرية اسر شيا الغربية وتوفان والويغور لحكم المغول ابتداء من عام ١٢٠٥ ، فانتهى حكم اسرة شيا الغربية عام ١٢٢٧ واسرة جين عام ١٢٣٤ .

ثم شنت قوات المغول هجمات متتالية على اسرة سونغ الجنوبية بعد سقوط اسرة جين ، فزحف قوبلاى خان ، حفيد جنكيزخان ، بحشود حاشدة للاستيلاء على دالى جنوب غربى الصين فحاصر اسرة سونغ الجنوبية . ثم ورث قوبلاى خان الحكم متخذا من العاصمة الكبرى (بكين) عاصمة للدولة ثم اعلن رسميا اسم دولته باسم يوان (١٢٧١ — ١٣٦٨) عام ١٢٧١ . وان قوبلاى خان ، لقب يوان شى تسو ، وهو اول امبراطور لاسرة يوان ، وتولى الحكم من عام ١٢٦٠ الى عام ١٢٩٤ .

واصلت قوات المغول بقيادة يوان شى تسو الهجمات على اسرة سونغ الجنوبية واستولت على اراض واسعة فى المجرى الاوسط والاسفل لنهر اليانغتسى لكنـ كابدت من المقاومة العنيفة من قبل الشعب والجيش لأسرة سونغ الجنوبية وانتهى الامر بالاستيلاء على لينآن عاصمة سونغ الجنوبية عام ١٢٧٦ . واذ ذاك نهض ون تيان شيانغ (١٢٣٦ — ١٢٨٢) القائد العسكرى وزحف بحشود حاشدة الى مقاطعات جيانغشى وفوجيان وقوانغدونغ لمقاومة الدخلاء لكنه وقع اسيرا بيد المغول فى احدى المعارك فنقل الى العاصمة الكبرى (بكين) وسجن فى

زنزانة اربعة اعوام ، وفى تلك الاثناء اظهر روح البطولة والاباء مفضلا الموت بشرف على الحياة بخنوع فقتل . ثم وصلت قوات المغول الى آيشان (جنوب محافظة شينهوى ، مقاطعة قوانغدونغ ، حاليا) على ساحل البحر الجنوبى وانتهت الى القضاء على اسرة سونغ الجنوبية ومن ثم توحدت الصين فى اسرة يوان على يد المغول عام ١٢٧٩ .

شهدت الصين المتعددة القوميات الموحدة فى ظل اسرة يوان تطورات ملحوظة ، وازدادت احوال التآلف بين قومية هان وبين الاقليات القومية . فلما استوطنت قوميتا تشيدان ونيوتشن على امتداد وادى النهر الاصفر وخالطتا ابناء قومية هان عبر عمليات المجاورة والتزاوج زالت الفروق بين هذه القومية وتلك فى ظل حكم يوان فسميتا باهل « هان » . والجدير بالذكر ان العرب والفرس المؤمنين بدين الاسلام الذين وصلوا منذ عهود اسرتى تانغ وسونغ وخاصة منذ القرن الثالث عشر قد استوطنوا فى مناطق متعددة فاشتهروا بلقب « هوى » كما انشأوا صلات التآلف والزواج بينهم وبين ابناء هان والمغول والويغور حتى تكونت منهم قومية جديدة هى قومية هوى .

تحديد المقاطعات الادارية

كانت مساحة الصين فى عهد اسرة يوان اوسع منها فى الاجيال الماضية فعملت حكومة يوان على تحديد مقاطعات ادارية فى نطاق البلاد وذلك من اجل تعزيز الحكم الاقطاعى وقررت انشاء وزارة للمقاطعات فى الحكومة المركزية كأعلى هيئة لادارة شئون الدولة . وبالتحديد ، كانت المقاطعة اضخم نطاقا من المقاطعة حاليا ، اضافة الى ذلك قامت دائرة للاشراف بمحافظة تونغآن ، مقاطعة فوجيان وكلفتها بالمسئولية عن ادراة جزيرتى بننهو وتانوان . وتحديد المقاطعات الادارية ذاك فى نطاق انحاء البلاد قد ارسى اساسا لتحديد المقاطعات الحالية بصورة اولية .

كما انشأت دائرة للسياسة والدعاية فى الحكومة المركزية مسئولة عن ادارة دين بوذا فى انحاء البلاد وادارة شئون التبت . وعملت حكومة يوان على تعيين الموظفين المسئولين عن التبت ومرابطة القوات العسكرية فيها واحصاء السكان

وجمع الجبايا والضرائب وتطبيق الادارة الفعالة هنالك ومن ثم تحولت التبت الى منطقة تحت ادارة حكومة يوان بصورة رسمية

وكذلك عملت حكومة يوان على انشاء الهيئة الحاكمة فى منطقة شينجيانغ واقامة القوات العسكرية هنالك .

الاقتصاد

فى البداية ، اهمل النبلاء المغول الاهتمام بالانتاج الزراعى على اودية النهر الاصفر حين زحفت قواتهم الى الجنوب ، وكان كثير منهم قد استحوذ على مساحات شاسعة من الاراضى المزروعة وحولوها الى مراع حتى اقترح بعضهم اخلاء المساحات الشاسعة من ابناء قومية هان كيما ترعى فيها المواشى بحجة أنهم « غير صالحين للدولة » ، مما أدى الى اثارة الفتنة والفوضى . وهنا نهض الوزير الاعظم بالوتشوتساى (١١٩٠ — ١١٤٤) قائلا : لو سمح لأبناء قومية هان ان يزرعوا ويدفعوا الجبايا والضرائب فذلك مفيد لنبلاء المغول . ونصحهم بترك ما يضر الانتاج الزراعى . وعندما تولى قوبلاى خان الحكم اعطى اهتمامه وعنايته للانتاج الزراعى ووجه اوامره الى انشاء الدائرة المسئولة من الزراعة وتكليفها بادارة شئون الزراعة وتربية دود القز فى انحاء البلاد وارسل المرشدين الزراعيين الى تفقد احوال الانتاج الزراعى فى ارجاء البلاد وطلب منهم ان يكتبوا الى الحكومة المركزية تقارير عن نتيجة التفقد كيما ترجع اليها فى تقدير الموظفين المحليين الذين نجحوا او فشلوا فى معالجة الشئون المحلية واضافة الى ذلك عملت دائرة الزراعة على مراجعة الكتب القديمة وجمع الخبرات والتجارب المتقدمة من اوساط الشعب حتى اتمت تأليف كتيب بعنوان : « مهمات الزراعة وتربية دود القز » ووزعته على انحاء البلاد مستهدفة تشجيع الناس على ممارسة الانتاج الزراعى . كما وجه يوان شى تسو اوامره الى انشاء دائرة مسئولة عن ادارة شئون حفر القنوات والرى وحشد الايدى العاملة واللوازم اليومية فى انحاء البلاد لترميم النهر الاصفر وتشييد منشآت الرى .

اعيد الانتاج الزراعى الى حالته الطبيعية تدريجيا وشهد تطورات ملحوظة عبر العمل المجد لدى ابناء القوميات المختلفة بينما توسعت مساحات القطن اوسع مما مضى ، الامر الذى خلق الظروف الملائمة لتطوير صناعة الغزل والنسيج

القطنى وكذلك تطوير الزراعة فى مناطق الحدود وخاصة فى منطقة يوننان جنوب الصين و بلغ مستواها المتطور نظيره فى داخل البلاد .

ازدهرت المواصلات ازدهارا نسبيا فى عهد اسرة يوان . فآنذاك اعتمدت حكومة يوان على المناطق جنوبى شرق الصين فى جمع الاموال والغلال التى يحتاج اليها سكان العاصمة الكبرى (بكين) وكان النقل يتم اما بالنهر او بالبحر اذ كانت القناة الكبرى التى تربط جنوب الصين بشماليها معطلة الملاحة بسبب الحروب المتتالية بين جين وسونغ الجنوبية عبر السنين ، وعندما تولى يوان شى تسو عرش الحكم تم حفر قناة هويتونغ من محافظة لينتشينغ الى دونغبينغ ، مقاطعة شاندونغ ، وايصالها بالقناة الكبرى المؤدية الى الجنوب والشمال وعمل على تطهير القناة من المعوقات كما حفر قناة تونغهوى بين محافظة تونغتشو (شرق بكين) وبين العاصمة الكبرى (بكين) ، هذا وقد وصلت الغلال من هانغتشو جنوبا الى العاصمة الكبرى (بكين) مباشرة عبر القناة المذكورة كما عملت حكومة يوان على افتتاح خط الملاحة البحرية بين الجنوب والشمال فانطلقت السفن من مرفأ ليوجيا بمصب نهر اليانغتسى (نهر ليو خه ، محافظة تايتسانغ ، مقاطعة جيانغسو ، حاليا) عابرة البحر الاصفر وبحر بوهاى حتى وصلت الى تشى قو (تيانجين ، حاليا) ثم نقلت الى العاصمة الكبرى (بكين) . كانت الرحلة تستغرق عشرة ايام فقط اذا كانت السفينة مع الريح . وفى اغلب الاحيان ، كانت حمولة السفن تنقل ١٧٥ الف طن من الغلال سنويا . وهكذا لعبت الملاحة البحرية دورا هاما فى نقل الغلال من الجنوب الى الشمال فى عهد اسرة يوان .

التناقضات الاجتماعية وسقوط اسرة يوان

فرضت حكومة يوان على الفلاحين ضرائب باهظة وخاصة ضرائب بديلة عن اعمال السخرة فاذا دفعوها اكرهوا على ادائها كذلك . وقد استحوذ النبلاء من قوميتى المغول والهان وغيرهما وكبار الموظفين وملاك الاراضى واصحاب المعابد على مساحات شاسعة من الحقول المزروعة . وهنا نستشهد بما ذكرته المدونات التاريخية : « يعجز الطير عن الوصول الى نهايتها » . فمثلا ، منح امبراطور يوان الوزير الاعظم بوه يان ٣٠ الف هكتار من الحقول المزروعة الواقمة فى مقاطعة خنان . واضافة الى ذلك ، وجب على الفلاحين المستأجرين ان يدفعوا اجورا اضافية بصورة متتالية وعلى بنيهم وبناتهم ان يخدموا مواليهم . واشد من ذلك ان الحقول كانت تباع مع افراد العوائل الفلاحية الى آخرين حينا . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، سبى النبلاء وكبار الموظفين عبر الحروب اعدادا كبيرة من السكان كغنائم خاصة بهم اجبرت على الزراعة واداء اعمال السخرة ودفع الجبايا والضرائب حتى سيم البشر كالحيوانات الى الاسواق للبيع .

كما انشأت حكومة يوان معامل جلب اليها الصناع بعوائلهم البالغ عددها مليونا ، واتمت تصنيف سجلات الصناع واهاليهم وسمتها بسجلات عوائل الصناع حيث عملوا ليل نهار وحصلوا على ما لم يسد رمقهم ومع ذلك نزل عليهم الضرب والشتم حينا بعد حين . واضافة الى ذلك لم يسمح لنسل الصناع ان يتخلصوا من المعامل الحرفية .

كما عمل حكام اسرة يوان على تطبيق سياسة الاضطهاد القومى مجسدة فى تقسيم سكان البلاد الى اربع درجات : « المغول » اصحاب المنازل العالية ؛ « سكان سهمو » ومنهم ابناء شيا الغربية وغيرها من المنطقة الغربية ؛ « ابناء هان » ومن ضمنهم الهانيون الشماليون وابناء قوميات تشيدان وتيويجن وغيرها فى الشمال ؛ سكان الجنوب وهم فى المنزلة الأدنى : الهانيون الجنوبيون وابناء القوميات فى جنوب نهر اليانغتسى ، على ان بعض ملاك الاراضى الهانيين كانوا

يشغلون المناصب الحكومية ويملكون حقولا واسعة . وقد افلس بعض المغول وتشردوا بدورهم فى كل مكان فتحولوا الى أرقاء .

الانتفاضة الفلاحية وجيش الشالات الحمر

ضاق ابناء القوميات ذرعا بالاضطهاد الشنيع الذى مارسه حكام اسرة يوان فخرج منهم زعماء مثل هان شان تونغ و ليو فو تونغ و غيرهما وقاموا بتعبئة الفلاحين فى اودية المجرى الاسفل للنهر الاصفر ونهر هوايخه ، وهذا قد قدح شرر الانتفاضة الفلاحية على نطاق واسع . وكان الامبراطور شون دى لاسرة يوان (١٣٢٠ — ١٣٧٠) قد اوفد ١٥٠ الفا من الفلاحين و ٢٠ الفا من الجند بمقاطعتى خبى وخنان الى ترميم النهر الاصفر عام ١٣٥١ ، وآنذاك كان الفلاحون يعيشون عيشة بائسة فلما وصلوا الى موقع العمل ، فرض الموظفون عليهم اتاوات وجلدوا ظهورهم مما ادى الى تأجج نار الحقد والغضب فى صدورهم . وفى الحال ، عمل هان وليو وامثالهما على تعبئة الفلاحين مغتنمين هذه الفرصة ونشروا الحكاية التالية : « رجل صخرى اعور اذا فتح عينه نحو النهر الاصفر اثار التمرد . » وأذذاك احضروا حجرا نحتوا عليه تمثالا لرجل اعور ودفنوه قاع نهر هوانغلينغ (شمال شرقى محافظة لانكاو ، مقاطعة خنان ، حاليا) . وعندما حفر الفلاحون استخرجوا الرجل الصخرى فهاجت فى قلوبهم عواطف جياشة فعقدوا عزائمهم على تحطيم العالم الظالم . فلما بلغ الموظفين المحليين خبر المؤامرة المدبرة بعثوا الى القاء القبض على هان شان تونغ وقتلوه . وفى الحال ، تكلف ليو فو تونغ بقيادة الفلاحين واعلن الانتفاضة فى مدينة ينغتشو (محافظة فونانغ ، مقاطعة آنهوى ، حاليا) ، فاستولت قوات الانتفاضة رغعلى نام طق ممتدة من ينغتشو الى خنان بصورة سريعة وانضم اليها مئات الآلاف . وء. اذ ذلك كانت قوات الانتفاضة ترفع رايات حمرا زاهية وكل مشترك فيها على رأسه شال احمر لذا اطلق عليها الناس جيش الشالات الحمر .

تأثر الفلاحون بدعوة ليو فو تونغ والتحقوا جماعة فجماعة بقوات الانتفاضة وتبعتهم الانتفاضة بقيادة شوى شيو هوى وقوه تسى شينغ فى مقاطعة آنهوى وسميت ايضا « جيش الشالات الحمر . »

وجه ليو فو تونغ بجيش الشالات الحمر ضربات ماحقة ضد قوات يوان الحكومية فانشأ سلطة الفلاحين فى بو تشو (محافظة بوشيان ، مقاطعة آنهوى ، حاليا) واسماها دولة سونغ واختار هان لين ار بن هان شان تونغ ملكا لها ١٣٥٥ . وفى العام التالى شن جيش الشالات الحمر هجمات على مناطق متعددة وفاز بالانتصارات العظيمة وفى عام ١٣٥٧ ، بعث ليو الى الشمال ثلاثة جيوش اولها دخل مناطق شنشى ، قانسو ، نينغشيا ، سيتشوان وثانيهما وصل الى منطقتى شاندونغ وخبى واقترب من العاصمة الكبرى عاصمة يوان والثالث دخل منطقة منغوليا الداخلية منطلقا من منطقة شانشى واشعل الحريق فى قصور كايبينغ فى العاصمة العالية (على الضفة الشمالية لنهر شانغدو ، غرب شمالى دوهلون ، منطقة منغوليا الداخلية الذاتية الحكم ، حاليا) ثم وصل الى شرق منطقة لياونينغ . واضافة ذلك كان قسم من الجيش بقيادة ليو فو تونغ يتنقل فى منطقتى انهوى وخنان للقتال واستولى على بيانليانغ (كايفنغ ، مقاطعة خنان ، حاليا) متخذا منها عاصمة للدولة وكذلك قامت الانتفاضة الفلاحية جنوب نهر اليانغتسى واستولت قواتها ، مليون جندى ، على مساحات فسيحة من مجرى اليانغتسى الاوسط والاسفل .

وجهت قوات الانتفاضية رمحها نحو سلطات يوان الحاكمة المحلية فى انحاء البلاد وفتكت بكبار الموظفين الفاسدين وملاك الاراضى والغت الاجور والضرائب واعمال السخرة كما فتحت مستودعات الغلال لاغاثة الفقراء واستولت على الحقول المزروعة من ملاكها ووزعتها على الكادحين المدقعين وخلصت الارقاء الفلاحين والارقاء وعوائل الصناع من قيود العبودية واعادت الحرية المطلقة اليهم حتى تداعت سلطة يوان الحاكمة بضربات الانتفاضة الفلاحية .

ولما عجز الجيش الحكومى عن مواجهة قوات الانتفاضة الفلاحية اعطى حكام يوان رؤساء القوات المسلحة لملاك الاراضى عطاء سخيا ودعوهم الى مشاركة الجيش الحكومى فى قتال قوات الانتفاضة وفى نفس الوقت حاولوا اغراء قواد الانتفاضة الفلاحين بالجاه والمال بغية خلق الشقاق بين قوات الانتفاضة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، كانت الانتفاضة الفلاحية تنقصها القيادة الموحدة وقوتها مشتتة ، الامر الذى جعل العدو يستغل ذلك ، فانهزمت قوات ليو فو تونغ بسبب الهجمات العنيفة من قبل القوات الحكومية والقوات المسلحة لملاك الاراضى بصورة متتالية ثم وقع ليو مع قواته العسكرية فى حصار محكم فى

آنفنغ (محافظة شيوشيات ، مقاطعة آنهوى ، حاليا) واستشهد بشرف . وقد استمر جيش الشالات الحمر بقيادة ليو فى النضال المسلح ١٢ سنة خاض خلالها مئات المعارك وزلزل اركان يوان الاقطاعية .

القضاء على اسرة يوان

تشو يوان تشانغ (١٣٢٨ - ١٣٩٨) اول الاباطرة لاسرة مينغ فى التاريخ الصينى ، كان فلاحا أجيرا والتحق بجيش الشالات الحمر بقيادة قوه تسى شينغ عام ١٣٥٢ ، أى بعد ان قامت الانتفاضة الفلاحية بقيادة ليو فو تونغ وغيره بسنة واحدة ثم حمل على كتفه مسئولية قيادة رجال قوه بعد وفاته وبعد ذلك قبل لقب الملك الذى منحه اياه هان لين ار ملك مينغ الصغير . ثم زحف تشو بقواته العسكرية الى جنوب نهر اليانغتسى واستولى على مدينة تشيتشينغ عام ١٣٥٦ وحول اسمها الى البلدية ينغتيان (مدينة نانكين ، حاليا) وانشأ فيها سلطة الحكم واغتنم فرصة الحروب الجارية بين جيش الشالات الحمر بقيادة ليو فو تونغ وبين القوات الحكومة والقوات المسلحة لملاك الاراضى مستهدفا تطوير نفوذه الخاص واختار المستشارين المستنيرين من طبقة ملاك الاراضى ومنحهم وظائف عالية. واشار عليه تشو شنغ : « تشييد الاسوار العالية المحيطة بالمدن وادخار الغلال اكثر فاكثر وتأجيل تسمية الامبراطور » سعيا وراء تطوير الانتاج الزراعى وتوسيع القوات المسلحة . هذا وقد سيطر على المناطق الفسيحة لمجرى اليانغتسى الاوسط والاسفل عبر حروب استغرقت عشر سنوات .

تأثر تشو يوان تشانغ فكريا بطبقة ملاك الاراضى واحبطت اعماله حين اتسع نفوذه حتى تحول الى وكيل لطبقة ملاك الاراضى حيث اعلن بيانا وصف فيه جيش الشالات الحمر بكلمة « الشيطان » كما اوضح فى البيان : « اعادة المساكن والممتلكات الى طبقة ملاك الاراضى . »ثم بعث تشو قواته العسكرية الى الشمال عام ١٣٦٧ . وفى عام ١٣٦٨ اعتلى تشو يوان تشانغ عرش الحكم فى بلدية ينغتيان ونصب نفسه امبراطورا لاسرة مينغ . وهنا نذكر ان تشو يوان تشانغ هو مينغ تاى تسو كما ورد فى السجلات التاريخية الصينية ، الذى تولى سلطة الحكم لاسرة مينغ من عام ١٣٦٨ الى عام ١٣٩٨ ، وفى نفس العام استولت قوات مينغ العسكرية على عاصمة يوان العاصمة الكبرى (بكين ، حاليا) . وبهذا اندثر حكم اسرة يوان فى الصين .

العلاقات الخارجية والثقافة
فى عهد أسرة يوان

كانت الصين من اقوى واغنى بلدان العالم وشاع صيتها فى اوربا وآسيا وافريقيا فى عهد أسرة يوان (١٢٧١ - ١٣٦٨) .

العلاقات الخارجية فى عهد اسرة يوان

تطورت المواصلات الخارجية تطورا عظيما آنذاك وكان الامبراطور قوبلاى خان - يوان شى تسو - (١٢١٥ - ١٢٩٤) قد سمح للتجار الأجانب بالمجىء الى الصين فتدفق اليها من ٢٠ بلدا او اكثر بما فيها مدينة تشامبا (جنوب الفيتنام حاليا) وسومطرة وطاب المقام لبعضهم فاستقر وعين آخرون موظفين فى حكومة يوان ، من بينهم بو شيو قنغ ، تاجر عربى ، الذى احتل منصبا كبيرا فى حكومة يوان ، وبالتحديد ، كان المسئول عن ادارة التجارة الخارجية بمقاطعتى قوانغدونغ وفوجيان ، واخوه بو شيو تشنغ الأديب المشهور الذى نظم الشعر باللغة الصينية . لقد جاء عدد غير قليل من العلماء العرب والاوربيين استقروا فى الصين وساهموا فى قضية العلوم والثقافة فى الصين مثل يوسف العالم العربى الذى جاء عن طريق بيزنطة الشرقية والذى عمل فى خدمة اسرة يوان من عام ١٢٥٠ الى وفاته عام ١٣٠٨ . وقد نال لقب «عضو الاكاديمية الامبراطورية» وثمة عالم آخر هو جمال الدين الفلكى الفارسى عمل فى خدمة اسرة يوان سنوات عديدة وعين مشرفا على انشاء المرصد الفلكى ببكين وكذلك صناعة المزواة والمحلقة (آلة فلكية قديمة) والمقاييس الاخرى ، كما خرج بعض الصينيين بجولات ورحلات الى الخارج نتيجة سهولة المواصلات البحرية آنذاك . وعندما تولى الامبراطور يوان دى (١٣٢٠ - ١٣٧٠) عرش الحكم ابحر وانغ دا يوان المولود فى مدينة نانتشانغ ، مقاطعة جيانغشى مرتين الى البلدان على شواطىء المحيط الهندى وتجول فى الهند والجزيرة العربية وفارس وبعض البلدن على سواحل البحر الابيض المتوسط وساحل افريقيا الشرقى (تانزانيا ،

حاليا) . ووضع كتاب « موجز فى وصف الاجانب وسكان الجزر الاجانب » بعد عودته وسجل فيه ما رآه وسمعه من العجائب والغرائب .

وكانت المدن مثل العاصمة الكبرى (بكين ، حاليا) وهانغتشو وتشيوانتشو ، قوانغتشو جنوب نهر اليانغتسى مزدهرة جذبت اليها التجار والزوار الأجانب ، فوصل اليها ماركوبولو الرحالية الايطالى (١٢٥٤ — ١٣٢٤) بصحبة ابيه عام ١٢٧٥ ولاقى هو وابوه حفاوة بالغة وكان الامبراطور قوبلاى خان يستمع اليه ويعمل وفق آرائه . اقام ماركوبولو فى الصين ١٧ سنة وتجول فى انحاء البلاد ووضع كتاب : « رحلات ماركوبولو » بعد ان عاد الى مدينة البندقية ، وسجل فيه احوال البلاد والاسواق المزدهرة فى عهد اسرة يوان . وقد اثار ذلك الاوربيين لمعرفة الحضارة الصينية . ومما ذكره عن العاصمة الكبرى انها : « مدينة لا نظير لها فى وفرة السلع والمستوردات . » واستطرد قائلا : « البنايات والعمارات فخمة وضخمة فى داخل المدينة وخارجها فضلا عن قصور كبار القوم » ، كما تحدث عن التجارة المزدهرة فى نفس المدينة قائلا : « تتدفق الى المدينة كميات هائلة من البضائع كالسيول . . فالحرائر تجرها حوالى الف عربة قادمة الى المدينة يوميا » . وقال عن مدينة شيآن : « تزدهر الزراعة والصناعة والتجارة اليومية لاتحصى فى المدينة والاسعار رخيصة جدا جدا . » وكذلك تحدث عن المواصلات النهرية بمدينة تشنغدو ، مقاطعة سيتشوان : « السفن والقوارب تملأ النهر ويتردد عليها التجار حاملين بضائعهم . وليس لها مثيل فى الازدهار فى خارج الصين ! » وتحدث عن التجارة الخارجية فى مدينة تشيوانتشو التى اطلق عليها اسم الزيتون آنذاك قائلا : « بلغت الواردات من اللآلىء والاحجار الكريمة فى هذه المدينة درجة خيالية » كما قدر الراسيات فى ميناء تشيوانتشو بمائة سفينة . وعاد هذا الرحالة الايطالى الى اوربا عن طريق بلاد فارس مرافقا موكب الاميرة التى تزوجت من امير ايلخان عام ١٢٩٢ .

وابن بطوطة (١٣٠٤ — ١٣٧٧) الرحالية العربى الشهير وصل الى الصين عام ١٣٤٧ حيث اعجب بالمناظر الطبيعية الجميلة والثروات الطائلة . فقد ذكر فى رحلته عن قوانغتشو : « الاسواق مزدهرة فى المدينة ولا مثيل لها فى العالم » وكذلك قال عن مدينة هانغتشو انها لا مثيل لها فى الدنيا . ولقى من اهل الصين افضل معاملة . . اوفدت حكومة يوان مبعوثا خاصا لمصاحبته

فى جولاته حيث اعتنى بعادته الاسلامية من حيث المأكل والمشرب وغير ذلك .
نقلت الاختراعات الصينية ، البوصلة والبارود وفن الطباعة ، الى البلدان العربية واوربا وكذلك نقلت علوم الفلك والطب والحساب من العرب الى الصين وبذا تعززت العلاقات الثقافية بين الصين وبين البلدان الاجنبية .

العلوم والتقنية

تطورت العلوم والادب والفن فى الصين من عهد أسرة يوان فخرجت مجموعة ممتازة من رجال الثقافة والعلوم .

قوه شيو تشنغ (١٢٣١ – ١٣١٦) : عالم فذ فى عهد اسرة يوان تأثر منذ صغره بجده قوه عالم الرياضيات وهندسة الرى واكمل تعليمه على يد الاستاذ ليو بينغ تشونغ عالم الفلك والجغرافيا من بعده ، الامر الذى دفعه الى الشغف بالعلوم الطبيعية . ثم استدعاه الامبراطور قوبلاى خان وهو فى الـ ٣٢ من عمره واعطاه عطاء سخيا ، وقد وضع على عاتقه مسئولية تعديل طريقة التقويم السنوى ، فاتم صناعة بضعة عشر صنفا من المقاييس الفلكية وتوصل الى ان ايام السنة ٣٦٥ر٢٤٢٥ يوما مبينا ان الفروق بين هذا الرقم والاوقات الحقيقية التى تدور فيها الشمس دورة واحدة حول الارض ٢٦ ثانية . ووضع كتابا جديدا عن التقويم اسماه « التقويم السنوى » وهو يماثل التقويم الجارى فى الوقت الحاضر ، اضافة الى انه سبقه بثلاثمائة سنة .

وتفنن العالم قوه شيو تشنغ فى هندسة الرى فرأس بنفسه ترميم القنوات الجارية بمنطقتى قانسو ونينغشيا على امتداد شواطىء النهر الاصفر فاستفاد منها الفلاحون لارواء ٦٠٠ الف هكتار من الحقول وبعد ذلك قاد حفر القناة من العاصمة الكبرى الى تونغتشو فتم بواسطتها نقل الغلال من جنوب الصين مباشرة .

هوانغ داو بوه ولدت فى بلدة « اونيتشنغ » بشانغهاى فى الفترة ما بين عهدى سونغ ويوان . وعندما شبت وصلت الى جزيرة هاينان متشردة لسبب مجهول حيث عاشت مع اهل قومية يى وتعلمت منهم طريقة الغزل والنسيج حتى اجادتها

ثم عادت الى شانغهاى عام ١٢٩٦ وهى تناهز الخمسين من عمرها فعاشت على نسج القماش والى جانب ذلك عملت جيرانها طريقة الغزل القطنى بينما اضافت بعض التحسينات الى الادوات كما علمتهم فن نسج الاقمشة المزخرفة حتى انتجوا اقمشة مزخرفة بغصون متقطعة ورسوم العنقاء المدورة ورقع الشطرنج ومقاطع اللغة الهانية . واصبحت الف عائلة تعيش على تلك المهنة فى بلدة « اونيتشنغ » وراجت شراشف البلدة فى كل مكان .

احرزت أسرة يوان رائعة فى علم الزراعة فخرج فى عهدما عالم الزراعة وانغ الذى صنف « كتاب الزراعة » بعد جهود مضنية استغرقت عشر سنوات وسجل فيه المنجزات التى احرزها الكادحون الصينيون فى الانتاج الزراعى منذ اصدار كتاب « الفنون الاساسية للرعاية الشعبية » الذى الفه العالم جياسى شيه شيه العائش فى عهد اسرة وى الشمالية (٣٨٦ — ٥٣٤) . و« كتاب الزراعة » هو اول كتاب يلخص التجارب فى قطاع الزراعة فى الصين ، والجدير بالذكر ان وانغ تشن كان قد امسك بزمام السلطات لادارة المحافظات وكان حسن السيرة واستمر يساعد الفلاحين فى كيفية ممارسة الانتاج الزراعى واصلاح الادوات الزراعية . وقد لعب « كتاب الزراعة » دورا هاما فى دفع الانتاج الزراعى الى التقدم والتطور . ولا يفوتنا ان نذكر هنا لو مينغ شان عالم الزراعة من القومية الويغورية الذى اتم تأليف « الموجز فى الزراعة وضروريات الحياة » وسجل فيه معلومات وفيرة من كيفية غرس الاعشاب الطبية وابادة الحشرات الضارة بالانسان .

الثقافة والفن

تطور علم التاريخ تطورا نسبيا فى عهد اسرة يوان فبزر فيه المؤرخ الشهير ما دوان لين الذى اتم تصنيف « التحقيق التاريخى فى الشئون العامة » تاركا مادة وفيرة رجعت وترجع اليها اجيال عديدة من المهتمين بدارسة نظام السياسة والاقتصاد آنذاك . وتكلف توتو (١٣١٤ — ١٣٥٥) رئيس مجلس الوزراء فى حكومة يوان بمهمة ثلاث مجموعات تاريخية : « تاريخ سونغ » ، « تاريخ لياو » ، « تاريخ جين » ، كل واحدة منها وخاصة الأخيرتين ، سجلت فيها

كميات غزيرة من المعلومات الاساسية عن قوميتى تشيدان ونيويتشن ، وخرجت مجموعة باسم « تاريخ المغول » تضم ٢٨٢ فصلا تم تأليفها فى الحقبة الوسطى من القرن الثالث عشر ، سجل فيها نشوء قومية المغول ومآثر الامبراطورين جنكيزخان (١١٦٢ – ١٢٢٧) واوغوداى خان (١١٨٦ – ١٢٤١) . وهذا الكتاب مساهمة بارزة قدمها المغول فى تطوير الثقافة الوطنية الصينية .

تميز الادب والفن بميزات خاصة فى ذلك العهد وقد سبق ذلك ظهور المسرحيات المتنوعة فى عهد أسرة سونغ حيث عرضت المسرحيات الهزلية والغنائية وبعد ذلك ، خرج عدد من كتاب المسرحيات ورد اسماء ٢٠٠ منهم فى كتب التاريخ واشهرهم قوان هان تشينغ ووانغ شى فو ، الخ .

قوان هان تشينغ (١٢١٠ – ١٣٠٠ تقريبا) ولد فى العاصمة الكبرى وكان مسؤولا فى الاكاديمية الطبية الامبراطورية وكانت علاقته بزملائه على خير ما يرام وتعرف على الممثلين المشاهير ومؤلفى المسرحيات . كان موهوبا مولعا بالغناء والرقص وخبيرا فى الموسيقى . وكثيراما شارك الممثلين فى عرض البرامج الفنية كما ترك لنا ٦٠ مسرحية منها عشر شائعة فى الوقت الحاضر « الثلج فى عز الصيف » ، « جوسق على النهر » ، والاولى تصف امرأة متهمة على انها سفاحة . فاعلن القاضى المرتشى الحكم باعدامها وسارت الى ساحة الاعدام مظهرة روح الاباء والبطولة ونددت بظالمها قائلة : « ايتها الارض : مادمت لاتميزين بين الصالح والطالح فكيف تكونين الارض ؟ ايتها السماء : مادمت تظلمين الابرار فكيف تكونين سماء » وهذه المسرحية تفضح الحكم الاقطاعى الظالم وتمدح كفاح الشعب . هذا وان اعمال الفنية تتلألأ فكريا وفنيا وتلقى الثناء والترحيب دواما من الشعب .

وانغ شى فو ، مولود فى العاصمة الكبرى ، عمله الادبى « الغرفة الغربية » . . رواية مسرحية تعبر عن الحب بين الحبيبين ، وتشيد بالكفاحات التى يخوضها الفتى تشانغ شنغ والفتاة تسوى ينغ ينغ فى سبيل الحرية وتحطيم الاغلال الاقطاعية ، وتفضح الاخلاق الاقطاعية الكاذبة . والمسرحية هى عمل ادبى ممتاز لازال له قيمته فى الوقت الحاضر .

ومن مؤلفى المسرحيات ما تشى يوان ، باى بو ، جى جيون شيانغ ، لى

تشى فو . اما ما تشى يوان فوضع مسرحية : « الخريف فى قصر هان » وهى تصف قصة وانغ تشاو جيون الوصيفة الجميلة فى اسرة هان الغربية (٢٠٦ ق . م — ٢٣ م) التى تزوجت من زعيم قبيلة من قومية شيونغنو فى تلك الايام . ومسرحية « اليتيم فى اسرة تشاو » التى كتبها جى جيون شيانغ تصف قصة حدثت فى عهد اسرة الربيع والخريف (٧٧٠ ق . م — ٤٧٦ م) . . كان رجال الامبراطور يسفكون الدماء بقسوة . وثمة انسان مظلوم ضحى بحياته لانقاذ اليتيم من البطش . وقد شاعت هذه المسرحية فى اوربا فيما بعد . والمسرحى لى تشى فو اتم تأليف ١٢ عملا مسرحيا عن قومية نيويجن ومن اعماله الشهيرة مسرحية « رأس النمر » وهى تصف جنديا من قومية نيويتشن عقد عزمه على الالتزام بالانضباط العسكرى والحفاظ على التقاليد والعادات لقومية نيويتشن . وموسيقاها تتميز بخصائص نيويتشن القومية الخالصة .

وكانت اساليب الاعمال الادبية والشعرية غير عالية فى عهد اسرة يوان الا سعد الله الشاعر الفذ من قومية هوى (١٢٧٢ — ؟) فقد كان يختلف عن غيره لأنه كان يقيم فى يانمون (شمال غربى محافظة دايشيان ، مقاطعة شانشى ، حاليا) وترك لنا مجموعة الاعمال الشعرية التى تسمى ديوان يانمون ، وشعره رصين جزل الاسلوب ويكشف قسوة الحروب التى اثارها الحكام الاقطاعيون للاعتداء على البلدان المجاورة كما زخرت اشعاره بالعواطف الجياشة نحو الشعب المنكوب بالمآسى .

وتطور فن الرسم باسلوب خاص فى عهد اسرة يوان وخرج آنذاك عدد من الرسامين المشاهير ايضا مثل وزانغ منغ ، وو تشن ، نى تسان وغيرهم وقد كانوا فى رسومهم يحاكون الطبيعة وما فيها من جبال وانهار بصورة رئيسية .

السياسة والاقتصاد في عهد أسرة مينغ

شهدت الصين كدولة موحدة متعددة القوميات تطورا اسرة مينغ (١٣٦٨ - ١٦٤٤)
كما أخذ نظامها الاقطاعي في الانهيار تدريجيا مفسحا الطريق لنشوء الرأسمالية .

تطوير الاقتصاد الاجتماعي

تساقط النبلاء وكبار الموظفين وبعض ملاك الاراضي عبر الانتفاضات الفلاحية في اواخر عهد اسرة يوان تاركين وراءهم مساحات شاسعة من الاراضي الزراعية ، اهمل قسم واعلى قسم الى الفقراء فازداد عدد المزارعين واصبح للمستأجرين منهم منزلة ومكانة في عهد اسرة مينغ وذلك بسبب انهم قد اشتغلوا دوما في اعمال السخرة تحت سطوة ملاك الاراضي . ولعنت حكومة مينغ قانونا ينص على أنه : من يستخدم فلاحا مستأجرا في تأدية اعمال السخرة يدفع له ٩٠ كيلوغراما من الارز . فتحسنت معاملة الفلاحين فاقبلوا على الانتاج الزراعي بنشاط .

وقد كتب مينغ تاي تسو الى الموظفين في انحاء البلاد يقول : (لم تستقر امور الدولة الا قبل قليل ، والرعايا ينقصهم المال والقوت مثلهم كمثل افراخ زغب الحواصل بل هم كمثل شتلة حديثة الغرس لا يجوز تحريكها .)

وبالاضافة الى ذلك اتخذ اجراءات جيدة لتطوير الانتاج الزراعي بهدف زيادة الدخل الحكومي وتوطيد سلامة الدولة . كما اعترف بحقوق الفلاحين في الاراضي المزروعة التي بنوها بكد سواعدهم واعفاهم من اعمال السخرة والضرائب ثلاث سنوات . وطلب الى الفلاحين الفقراء جنوب نهر اليانغتسي وغرب مقاطعة

تشجيانغ ومنطقة شانشى استصلاح الاراضى المقفرة فى اودية نهر هوايخه والمجرى من النهر الاصفر وكذلك امر قوات الجيش المرابطة فى انحاء البلاد ان تستصلح الحقول وتزرعها ، وبذلك حققت اكتفاء ذاتيا من الغلال لمدة تتراوح ما بين ٦٠ — ٧٠ سنة تقريبا ، الامر الذى ادى الى تخفيف الاعباء عن كاهل الشعب .

وارسل اول الاباطرة مينغ تاى تسو بعض الموظفين الى الولايات والمحافظات بغية مسح الاراضى ، كما فتشوا الاراضى التى حازها كثير من ملاك الاراضى والعتاة المحليين لاجبارهم على دفع الضرائب . وعليه ، ازدادت دخول الحكومة وتخفف الفلاحون من اعباء الضرائب .

وتحسنت احوال اصحاب الحرف اليدوية فى اوائل اسرة مينغ ، وبالتالى اطلق عليهم لقب الصناع . ومن كان يقيم فى العاصمة عمل فى المعمل الحكومى عشرة أيام شهريا ومن لم يتمكن من ذلك دفع ستة اعشار تايل فضة شهريا . واما الصناع المقيمون خارج العاصمة فيتعاقبون فى الخدمة ثلاثة اشهر فى كل ثلاث سنوات . ثم قررت الحكومة ان يدفع الصناع قدرا معينا من الفضة بدلا من الخدمة فى العاصمة . وسمحت للصانع ان يصنع بعض المنتجات فى وقت الفراغ من الخدمة الرسمية ويبيعها فى السوق . فنشط الصناع عن ذى قبل وارتفع الانتاج ارتفاعا ملحوظا .

تعزيز الديكتاتورية الاقطاعية

بدأ اول الاباطرة مينغ تاى تسو (١٣٢٨ — ١٣٩٨) يركز السلطات فى قبضته بعد تأسيس اسرة مينغ . فعمل على الغاء وزارة المقاطعات وانشاء دوائر مسئولة عن الشئون المدنية والمالية والقضائية والجيش فى المقاطعات . كما عزل رئيس الوزراء ووزع سلطاته على ستة وزراء اختارهم بنفسه وتولوا مسئولية الكوادر ، الشئون المدنية ، تقديم القرابين والامتحان ، الجيش ، القضاء ، البناء والتعمير . وتولى قيادة الجيش الذى قسمه الى خمسة اقسام : القلب ، المقدمة ، المؤخرة ، الميمنة ، الميسرة ، كل منها مسئول عن قواته المرابطة فى امكنة محددة . وكانت مهمة وزارة الجيش تدريب الجنود وتوزيع قطعات الجيش

ولكن لم يكن لديها جيش ، اما القيادات العسكرية فلم تكن لديها صلاحيات في توزيع الجيوش ، الامر الذى ادى الى وجود تضارب بين الوزارة والقيادات . وكانت مقاليد السلطة كلها بيد الامبراطور .

وأسس الامبراطور قيادة عسكرية فى المنطقة الغربية لتقوية ادارة الاقليات شرقى الصين ، حيث اقاموا دائرة للارشاد فى مدينة نورقان على الضفة الشرقية من المجرى الاسفل لنهر هيلونغ (على حدود الاتحاد السوفياتى ، حاليا) ١٤٠٩ ، ضمت مراكز انتشرت على مساحات شاسعة من نهر اونون غربا الى جزيرة سخالين شرقا ومن بحر اليابان جنوبا الى جبال شينغآن الكبرى شمالا . وظلت قوات الجيش ترابط فى نورقان للدفاع عن امن الحدود وكذلك اقيمت محطات احداها انطلقت من نورقان الى بكين لبر شرق لياونينغ لنقل الرسائل الرسمية والضرائب والعطاءات من البلاط الامبراطورى .

وعندما اعتلى الامبراطور مينغ تشنغ تسو (١٣٦٠ — ١٤٢٤) ومينغ شيوان تسونغ عرش الحكم بعث كل منهما يى شى خا آخرين غير مرة لتفقد دائرة نورقان ، ورفعوا معبد (يونغتيننغ) على ضفة نهر هيلونغ قرب نورقان بعد وصولهم ، وشيدوا نصبين تذكاريين نقشت عليهما كلمات باللغات الهانية والنيويتشنية والمغولية والتبتية تصف احوال تأسيس دائرة نورقان وتفقد الموظفين لنورقان وجزيرة سخالين .

تعمير بكين والسور العظيم

انسحبت قومية المغول الى شمال السور العظيم بعد سقوط حكومة يوان (١٢٧١ — ١٣٦٨) وحافظت الى حد ما ، على نفوذ حقيقى . وبعد ان تولى مينغ تشنغ تسو سلطة الحكم نقل عاصمة الدولة من يينغتيان (نانكين ، حاليا) الى بكين عام ١٤٢١ مستهدفا تعزيز القوة الحربية فى شمال الصين .

وبدأ مينغ تشنغ تسو عام ١٤١٧ يجمع الايدى العاملة وينفق الاموال الطائلة لتعزيز مدينة بكين . . فتدفق الجنود والفلاحون والصناع من انحاء البلاد الى بكين للبناء والاعمار . وجلبت كميات هائلة من الاخشاب ، سطح الواحدة

حوالى مترين ، والحجارة الضخمة والآجر والقراميد فى غاية الدقة ، فشيدت القصور الامبراطورية والسور المحيط ببكين فى مدة استغرقت حوالى خمسة عشر عاما .

كانت مدينة بكين ثلاثة اقسام مستطيلة الشكل كل قسم يتداخل فى الآخر . . . القسم الداخلى واطلق عليه اسم : (المدينة المحرمة) وهذا البناء الفخم الرائع تحول اليوم الى متحف القصر الامبراطورى والقسم الثانى المدينة الامبراطورية والحدائق الامبراطورية يحيط بها سور وخندق . والقسم الخارجى كان لعامة الشعب . طول الاسوار ٢٠ كم وكان بها بوابات تسع ، وتخترقها الطرق المعبدة . وارتفعت فيها المستودعات الواسعة وبرجان عاليان للطبل والجرس وبجنوبها الوحدات السكنية والمحال التجارية والمعابد والدواوين الحكومية . بدت المدينة متناسقة . . بنايات رائعة . واعتبر ذلك من الاعمال المعمارية الفذة .

واضافة الى ذلك بدأت حكومة مينغ فى اوائل تأسيسها السور العظيم شمال بكين وتوصل بعض اجزائه ببعض وقد استغرق ذلك مائتى سنة حتى امتد السور العظيم حوالى ٦٥٠٠ كيلومتر من نهريالو شرقا الى قلعة جيايوى ، مقاطعة قانسو غربا . ومازال البناء فى حالية سليمة حتى يومنا هذا . ويعتبر من الاعمال الهندسية العظيمة فى العالم .

نشوء الرأسمالية

ارتفع الانتاج الزراعى اكثر من السابق فى اواسط عهد اسرة مينغ . وعلى سبيل المثال ، ازدادت زراعة الارز فى منطقة خبى وتوسعت مساحات حصاد محصولين من الارز فى مناطق فوجيان وتشجيانغ وغيرهما ، وظهرت زراعة ثلاثة محاصيل فى العام بمنطقة لينغنان ، جنوب قوانغدونغ . ثم نقلت البطاطا الحلوة من لوزون فى الفليبين الى فوجيان فتمت اقلمتها فى سائر المناطق وعمت زراعة القطن انحاء البلادو ازدهرت تربية دود القز حتى ظهرت مساحات خضراء زرعت فيها شجيرات التوت وكذلك نقل التبغ ، موطنه الاصلى فى القارة الامريكية ، من جزيرة لوزون الى الصين وعمت زراعته فى عديد من المناطق . هذا وقد شق ارتفاع الانتاج الزراعى طريقا الى تطور الحرف اليدوية .

تحسنت احوال الحرف اليدوية فى اواسط عهد اسرة مينغ اكثر من السابق ، فاقيم معمل لصهر الحديد فى تسونهوا ، مقاطعة خبى آنذاك ، فيه فون علوة اربعة امتار وسعته طن واحد من المعادن ويعمل بقوة الريح ويحتاج ٤ — ٦ اشخاص لنفخ الكير عند صهر الحديد ، كما اقيم ٥٨ فرنا بادارة الحكومة و ٩٠٠ فرن بادارة الاشخاص لانتاج الخزفيات فى بلدة جينغده ، مقاطعة جيانغشى ، والتى امتدت من الجنوب الى الشمال مسافة ٦ كيلومترت . وآنذاك ، انتجت خزفيات هائلة الكميات جيدة النوعية عديدة الاصناف وعمت حرفة الغزل والنسيج منطقة سو نغجيانغ ، جيانغسو ، اريافا وبلدات وعرضت فى السوق عشرة آلاف بى من المنسوجات القطنية يوميا كما شاعت اقوال مثل : (لاتنضب الاقمشة القطنية ابدا من بلدة سونغجيانغ وكذلك الخيوط المغزولة من بلدة ويتانغ (بلدة ويتانغ بمحافظة جياشان ، مقاطعة تشجيانغ ، حاليا ، اشتهرت بانتاج الخيوط القطنية آنذاك) . وتميزت الاقمشة القطنية التى انتجتها بلدة سونغجيانغ بالدقة والمتانة ومنها اصناف ممتازة نسجت على صفحاتها رسوم مزهرة وكانت رائجة فى السوق . كما كثرت المبيعات التجارية لارتفاع الانتاج الزراعى والحرف اليدوية وعرضت فى السوق كميات هائلة من القطن ، الحرائر الخام ، التبغ ، الاقمشة القطنية ، الحرائر ، الورق ، الخزفيات ، الآلات الحديدية ، الغلال وما الى ذلك . واضافة الى ذلك تم تشييد ٣٠ مدينة فخمة فى انحاء البلاد اكثريتها جنوب نهر اليانغتسى وعلى سواحل البحر جنوب شرقى الصين وعلى امتداد القناة الكبيرة . مثلا ، كانت مدينتا سوتشو وهانغتشو مشهورتين بصناعة الحرير وبلدة سونغجيانغ قلب صناعة الغزل والنسيج القطنى وبلدة جينغده مركز صناعة الخزفيات ومدينة تشنغدو مشهورة بسوق الشاى ومدينة ووتشانغ بسوق الاخشاب ومدينة يانغتشو فى ملتقى القناة الكبيرة ونهر اليانغتسى نقل اليها وخرج منها الملح وازدهرت فيها التجارة ازدهارا طيبا ، وخاصة ، كانت قوانغتشو ، نينغبوه ، تشيوانتشو ، فوتشو مرافىء رئيسية للتجارة الخارجية صدرت منها السلع الى اليابان وبلدان جنوب آسيا الشرقى .

واصبحت الفضة نقودا رائجة فى اواخر عهد اسرة مينغ مع تطور التجارة داخليا وخارجيا .

نشأت العلاقات الرأسمالية شيئا فشيئا جنوب نهر اليانغتسى فى أواسط واواخر أسرة مينغ . وعندما ازدهرت صناعة الحرير فى مدينة سوتشو وظهرت فيها عوائل تعيش على نسج الحرائر استحوذ بعضها على كميات هائلة من الرأسمال ، وابتاعت احداها ٢٠ — ٤٠ نولا واستكرت عشرات العمال لانتاج الحرائر ، وكان فى مدينة سوتشو آلاف الاشخاص اتقنوا فن صناعة الحرائر بعضهم اشتغل اجيرا لدى اصحاب الانوال وآخرون عملوا بالمياومة . فعمل اولئك العمال من طلوع النهار الى نزول الليل وكانت اجورهم تقدم لهم يوميا وان تعطل احد تنهم عن العمل تشرد جائعا . وآنذاك استحوذ اصحاب الانوال على الوسائل الانتاجية واستمراوها فى استغلال الكادحين فاصبحوا رأسماليين فى فترة مبكرة كما كان الكادحون يعيشون من بيع جهودهم فاصبحوا عمالا صناعيين فى فترة مبكرة ايضا . وهكذا ، احتل الاقتصاد الطبيعى المندمج بالزراعة والحرف اليدوية مكانة رئيسية فى قطاع الاقتصاد ، على ان هذه العلاقات الانتاجية الرأسمالية كانت فى حالة النشوء وتطورت تطورا بطيئا منذ ذلك الحين .

بعث الامبراطور مينغ شن تسونغ (١٥٧٣ — ١٦٢٠) كبار الموظفين الى تحصيل الضرائب فى المدن والارياف . وكان احد الجباة قد وصل الى مدينة سوتشو عام ١٦٠١ فاقام مخاف لنهب الاموال لدى التجار والمسافرين واعلن : على كل نول ان يدفع ٣ر٠ تايل فضة وثلاثة بالمائة من تايل الفضة لكل بى من الحرائر ، فادى ذلك الى اغلاق ابواب المعامل وبطالة العمال الصناع الذين هرعوا بقيادةزعيمهم قه شيان وحاصروا ديوان الجبايا قتلوا محصل الجبايا فلما بلغ الخبر ذلك الجابى هرب خوفا وهلعا . وآنذاك ، نهض السكان فى مدن ووتشانغ ، لينتشينغ ، كونمينغ ، شيآن ، فوتشو ، وبلدة جينغده وغيرها وقاموا بالنضال ضد الضرائب الباهظة حتى اجبرت حكومة مينغ على سحب الجباة من انحاء البلاد .

العلاقات الخارجية

اشتهرت الصين فى اوائل عهد اسرة مينغ بالثراء والقوة فى العالم فحج اليها السفراء والتجار الأجانب لأغراض مختلفة ، من بلاد عديدة .

رحلات تشنغ خه الى الغرب

اوفد الامبراطور مينغ تشنغ تسو (١٣٦٠ — ١٤٢٤) تشنغ خه ، خصى القصر ، (١٣٧١ — ١٤٣٥) كسفير الى البلدات فى جنوب آسيا الشرقى والمحيط الهندى ، وساحل افريقيا ، مستهدفا تعزيز العلاقات الودية بين الصين وبين تلك البلدان .

الرحالة تشنغ خه ، له لقب آخر : سان باو ، ولد من عائلة مسلمة لقويية هوى بمنطقة يوننان . وعندما شب اختير خادما للامبراطور . رحل الى الغرب فى مهمة رسمية عام ١٤٠٥ وقد رافقه ٢٨٧٠٠ من القادة والجنود والمترجمين والتجار والملاحين والصناع والاطباء . اقلع الاسطول الذى ضم ٦٢ سفينة بهم وبكميات هائلة من الذهب والفضة والحرائر والخزفيات والآلات الحديدية والمنسوجات ، من مرفأ ليو جيا (نهر ليو خه ، بمحافظة تايتسانغ ، مقاطعة جيانغسو ، حاليا) ومخر عباب البحار . وكانت اكبر سفينة تتسع لألف شخص ويبلغ طولها ١٤٠ مترا وعرضها ٦٠ مترا وعلقت على الصوارى ١٢ شراعا واحتاجت ٢٠٠ — ٣٠٠ ملاح فاعتبرت اضخم سفينة حجما فى العالم آنذاك . مخر اسطول السفن عباب البحر الشرقى والبحر الجنوبى فوصل الى مدينة تشامبا (جنوب الفيتنام) ثم الى الموانئ فى جنوب آسيا الشرقى وعلى سواحل المحيط الهندى .

بلغت رحلات تشنغ خه الى الغرب سبعا فيما بين عام ١٤٠٥ — ١٤٣٣

ووصل برجاله الى شبه جزيرة الهند الصينية وارخبيل الملايو والبنغال والهند بلادفارس وشبه جزيرة العرب وكذلك الى سواحل شرق افريقيا والبحر الأحمر .

واينما وصل اسطول تشنغ خه لاقى ترحيبا حارا ، وكلما نزل ورجاله ببلد قدموا بعض الهدايا للملوك والامراء تعبيرا عن نواياهم الطيبة ثم شرعوا يتاجرون مع الاهالى او الدوائر التجارية المحلية وتبادلوا السلع وكانوا عادلين فى البيع والشراء وكانت السلع الصينية وخاصة الحرائر والخزفيات رائجة فى كل مكان واضافة الى ذلك اشتروا الاحجار الكريمة واللآلىء والمرجان والعطريات والمنتوجات المحلية . هذا وقد سمح لتشنغ خه ان يبنى مستودعا فى بلاد ملقا فى شبه جزيرة الملايو بعد الحصول على موافقة من الحاكم هناك ، لاستقبال السفن الصينية العائدة من البلدان الاخرى وترتيب وتعبئة السلع كيما تنطلق مرة اخرى عائدة الى الوطن عندما تهب ريح الجنوب فى شهر مايو .

وكلما رجع اسطول تشنغ خه ورجاله الى الوطن صحبهم بعض الملوك او السفراء لزيارة الصين يحملون معهم بعض الحيوانات والطيور النادرة مثل النعامة والاسد وحمار الزرد والزرافة كهدايا للامبراطور الصينى الذى كان يقابلهم بحفاوة بالغة ويقدم لهم الهدايا الثمينة ، ثم يعودون فى اسطول تشنغ خه الى اوطانهم .

تغلب تشنغ خه ورجاله فى رحلاتهم السبع على الكثير من الصعوبات والمشقات مظهرين مهارة عالية فى الملاحة ومتحلين بالجرأة والشجاعة . ان رحلات تشنغ خه لهى صفحة مشرقة فى تاريخ الملاحة فى العالم وهى اسبق بنصف قرن من الرحالة البرتغالى فاسكو دى جاما الذى ابحر فى اواخر القرن الخامس عشر الى الهند من اوربا حول رأس الرجاء الصالح وسواحل شرق افريقيا وكذلك من الرحالة كولومبس الذى ابحر اول مرة من اوربا فوصل الى امريكا . وتلك الرحلات قددفعت عجلة التبادل الاقتصادى والثقافى بين الصين وبين البلدان الافريقية والآسيوية وتعزيز الصداقة بين الشعب الصينى وبين شعوب تلك البلدان .

مساهمات المغتربين الصينيين فى تنمية جنوب آسيا الشرقى

بدأت اعداد قليلة من الصينيين ترحل الى جنوب آسيا الشرقى ، قبل عهد اسرة تانغ (٦١٨ — ٩٠٧) ، استوطنت هنالك لكسب الرزق ، وعندما ابحر

تشنغ خه الى الغرب وجد عددا غير قليل منهم ينتشرون فى شبه جزيرة الهند الصينية وسومطره وجاوه وكاليمنتان ولوزون وغيرها . ثم ازداد عدد الصينيين المسافرين الى جنوب آسيا الشرقى . وتذكر كتب التاريخ : بلغ عدد المغتربين الصينيين فى جزيرة لوزون ٣٠ — ٤٠ الفا وفى جاوه ٢٠ — ٣٠ الفا ، وكان ذلك فى اواخر عهد اسرة مينغ .

وعاش الصينيون والمحليون هنالك فى سلام وشاركوا بعضا فى العمل والبناء فاستصلح بعضهم الاراضى البور وزرعوا فيها قصب السكر والتوابل والشاى والارز وعمل آخرون فى استخراج المعادن كالذهب والقصدير كما مارس البعض منهم مهنة الطب . وبكلمة اخرى ، بذل المغتربون الصينيون جهدا جهيدا لدفع عجلة الاقتصاد والثقافة الى الأمام فى جنوب آسيا الشرقى .

مطاردة القراصنة اليابانيين

تجمع المقاتلون والتجار والقراصنة بقيادة النبلاء الاقطاعيين بمنطقة كيوشيو اليابانية فى اواخر عهد اسرة يوان وانقسموا الى فئات مختلفة احداها انتسب اليها عشرات او مئات من الاشخاص ونزلوا بمناطق الصين الساحلية لاثارة الفتن والفوضى حاملين السلاح والسلع فكلما سنحت لهم الفرصة سفكوا الدماء ومارسوا اعمال السلب والنهب والحرق ومع ذلك عرضوا السلع وهم بازياء التجار فى السوق ، لذا سماهم الناس (القراصنة اليابانيين) .

فى اوائل عهد اسرة مينغ اهتمت الحكومة بحماية المناطق الساحلية فحشدت القوات وهزمت القراصنة اليابانيين غير مرة عبر معارك عنيفة . ثم اشتد ساعد القراصنة فى اواسط عهد اسرة مينغ . وبالاضافة الى ذلك ، تآمر ملاك الاراضى والتجار فى منطقتى تشجيانغ وفوجيان آنذاك بالتواطؤ مع القراصنة اليابانيين وشاركوهم فى القتل والنهب حتى تعرض السكان على امتدا السواحل لخسائر فادحة .

ثم فى عام ١٥٣٣ قام القراصنة القراصنة اليابانيون باغراء الخونة من التجار على ظهور السفن الحربية ونزلوا بمنطقتى جيانغسو وتشجيانغ حتى اجتاحت

المأساة مساحات واسعة . وآنذاك اضبح عدد القراصنة اليابانيين لايحصى حتى وصل البعض منهم الى مدينتى ينغتيان (نانكين ، حاليا (هويتشو (محافظة شيشيان ، (٢١٨ - ٩٠٧ (، استوطنت هنالك لكسب الرزق ، وعندما ابحر تشنغ خه الى الغرب وجد عددا غير قليل منهم ينتشرون فى شبه جزيرة الهند الصينية وسومطرة وجاوه وكاليمنتان ولوزون وغيرها . ثم أزداد عدد الصينيين المبافرين الى جنوب آسيا الشرقى . وتذكر كتب تاريخ : بلغ عدد المغتربين الصينيين فى جزيرة لوزون ٣٠ - ٤٠ الفا وفى جاوه ٢٠ - ٣٠ الفا ، وكان ذلك فى اواخر عهد اسرة مينغ .

وعاش الصينيون والمحليون هنالك فى سلام وشاركوا بعضا فى العمل والبناء فاستصلح بعضهم الاراضى البور وزرعوا فيها قصب السكر والتوابل والشاى والارز وعمل آخرون فى استخراج المعادن كالذهب والقصدير كما مارس البعض منهم مهنة الطب . وبكلمة اخرى ، بذل المغتربون الصينيون جهدا شيشيان ، مقاطعة آنهوى ، حاليا (واينما وصلوا ذبحوا الانفس ونهبوا الاموال) .

وفى ذلك الوقت ، نهض الأهالى لمجابهة القراصنة وخرجوا جماعة فجماعة للدفاع عن بيوتهم بينما بعثت حكومة مينغ القوات العسكرية والقواد المشاهير الى ابادة القراصنة فى تلك المنطقة الساحلية .

تشى جى قوانغ (١٥٢٨ - ١٥٨٧) قائد الجيش بعثته حكومة مينغ وكان يناهز ٣٠ سنة من عمره لمواجهة القراصنة شرق تشجيانغ . فانشأ قوة عسكرية منها ثلاثة آلاف من الفلاحين وعمال المناجم ودربهم تدريبا عنيفا ووضع لهم قواعد للانضباط العسكرى يلتزمون بها : عند سماع صوت الطبل يتقدم الجندى الى الامام ولو كانت المياه والنيران امامه . ويتراجع فورا حين سماع صوت الصنوج ولو كانت أكوام الذهب والفضة منشورة فى الطريق . ازداد رجال الجيش وبلغ عددهم اكثر من ٢٠ الفا وكانوا يقاتلون العدو ببسالة ويتقيدون بالانضباط العسكرى على نحو افضل حتى اطلق عليهم الناس : (جيش عائلة تشى) .

دارت رحى الحرب وجرت معار معارك عنيفة بين القوات العسكرية بقيادة تشى جى قوانغ وبين القراصنة اليابانيين وانتصرت الفئة الاولى تسع مرات قرب تايتشو ، منطقة تشجيانغ عام ١٥٦١ واستأصلت جذور الفتنة هنالك ثم دخل جيش عائلة تشى فى منطقتى فوجيان وقوانغدونغ وواصل شن الهجمات

على الغزاة بالتعاون مع القوات العسكرية بقيادة يوى دا يو القائد المناهض للقراصنة اليابانيين الذين ابيدوا عن بكرة ابيهم على امتداد سواحل جنوب الصين الشرقى عام ١٥٦٥ .

الحرب لمساعدة كوريا

هيديوشى تويوتوى القائد اليابانى ، بعث عام ١٥٩٢ مائتى الف جندى وعدة مئات من السفن الحربية لمهاجمة كوريا ، مستهدفا الاعتداء على الصين بعد احتلال كوريا . ونزل الغزاة بمدينة بوسان ، جنوب كوريا ، وواصلوا الزحف حتى استولوا على مدينتى سيول و بيونغ يانغ ولكن الشعب الكورى هب يقاوم الدخلاء .

وطلبت حكومة كوريا من حكومة مينغ معونات عسكرية عام ١٥٩٣ فبعثت حكومة مينغ القوات العسكرية بقيادة لى رو سونغ الى كوريا وشاركت جيوش كوريا فى توجيه ضربات قاتلة للغزاة اليابانيين ، واستعادتا المدينتين المحتلتين .

ثم بعث القائد اليابانى المذكور سابقا ١٤٠ الفا من الغزاة اليابانيين عام ١٥٩٧ الى شن الهجمات على كوريا مرة ثانية فاشتركت قوات مينغ وجيوش كوريا فى صد الغزاة الذين انسحبوا الى قرب مدينة بوسان . وفى العام التالى ، اخذهم الارتباك والاضطراب فعادوا من حيث اتوا بسبب وفاة القائد التى ادت الى حدوث فتنة فى داخل اليابان . وآنذاك ، خرجت القوات البحرية لأسرة مينغ وكوريا الى عرض البحر لاعتراض الاعداء الهاربين حيث دارت رحى الحرب بين الطرفين حتى كاد الغزاة اليابانيون يندثرون على يد القائد الصينى الشهير دنغ تسى لونغ الذى كان قد ناهز السبعين من عمره ولى شون تشن القائد الكورى الشهير حتى انتصرت الحرب لمساعدة كوريا انتصارا عظيما . والجدير بالذكر ان القائدين الصينى والكورى قد استشهدا عبر معارك عنيفة .

العلوم والثقافة

تقدمت العلوم والثقافة فى الصين فى أواسط عهد اسرة مينغ (١٣٦٨ – ١٦٤٤) متأثرة بتطور التجارة ونشوء الرأسمالية ، وتبع ذلك تطور الافكار ضد الاقطاعية التى اخذت شمسها فى الأفول ، وبالتالى انعكس هذا الأمر على الثقافة آنذاك .

الكتب العلمية

ظهر فى عهد أسرة مينغ ثلاثة كتب قيمة :

١ – كتاب « بن تساو قانغ مو » اى فهرست الاعشاب الطبية لمؤلفه : لى شي تشن (١٥١٨ – ١٥٩٣) الصيدلى الفذ : ولد بمنطقة تشيتشو (جنوب محافظة تشيتشون ، مقاطعة هوبى ، حاليا) وتعلم مهنة المداواة والتطبيب صغيرا على يد أبيه ، ولما صار فى ريعان الشباب ، اخذ يتنقل فى كل مكان لخدمة المرضى . واضافة الى ذلك ، انكب على دراسة الكتب الطبية والصيدلية فوجد فيها كثيرا من النواقص بل الاخطاء تحتاج الى التنقيح والتصحيح ، فعزم على تصنيف كتاب فى الصيدلة .

وتجول لى شي تشن فى احواض النهر الاصفر ونهر اليانغتسى . واينما نزل اقتبس المعارف من الفلاحين المسنين والحطابين والصيادين ومزارعى الاعشاب الطبية باذلا جهدة فى جمع الوصفات الطبية وعينات الاعشاب العلبية .

واجتهد فى القراءة والمطالعة والاستفسار والتأمل والحفظ . . كان يرجع الى كميات هائلة من المجلدات والمخطوطات حتى انتهى الى اخراج الكتاب الصيدلى بعنوان : « بن تساو قانغ مو » عام ١٥٧٨ وقد استغرق منه ذلك ٢٧ سنة .

يحتوى « بن تساو قانغ مو » على مليون وتسعمائة الف كلمة هانية موزعة على ٥٢ فصلا ، ويضم ١٨٠٠ صنف من العقاقير والادوية منها ٣٧٤ صنفا ذكرت لأول مرة وبقاياها مذكورة فى الكتب الصيدلية القديمة ، كل منها مدونة تفاصيله : موقع الانتاج والشكل واللون والرائحة والقدرة على معالجة المرض .

ويضم الكتاب الى جانب ذلك ١١٠٠ صورة تبين هيئات العقاقير وكذلك ١١٠٠٠ وصفة طبية قديمة او شائعة بين العوائل الشعبية . فاسهم الكتاب اسهامات كبرى فى حماية صحة الاجيال . وفى الحقيقة ، لم يوجد كتاب صيدلى مثل « بن تساو قانغ مو » من حيث دقة التنقيح ووفرة المضامين آنذاك ثم ترجم فور نشره الى لغات اجنبية عديدة فصار مرجعا هاما من مراجع العلم الطبيعى فى العالم .

٢ — « الكتاب الكامل فى الزراعة » لمؤلفه : شيوى قوانغ تشى (١٥٦٢ — ١٦٣٣) واسع المعرفة ، عاش فى بلدة شانغهاى بمحافظة سونغجيانغ ، وكان يرغب فى تعلم العلوم المتقدمة بالخارج . حينذاك ، اتى الصين متى ريتشى (١٥٥٢ — ١٦١٠) المبشر الايطالى وامثاله وكانوا يحملون معهم بعض الكتب العلمية فاشتغل شيوى بترجمتها الى اللغة الصينية ، هذا وقد لعبت الكتب المترجمة دورا كبيرا فى تطوير العلوم والفنون آنذاك . فذكر المصنف فى « الكتاب الكامل فى الزراعة » لنظريات زراعية وطرائق عديدة فى غرس النباتات وصناعة الادوات الزراعية وتشييد منشآت الرى كما سجل طرائق غرس القطن والغزل والنسيج مشيرا الى انتشار فن غرس القطن فى انحاء البلاد كلها آنذاك . واضافة الى ذلك دون منجزات تقنية جديدة مثل طريقة الرى فى اوربا فضلا عن منشآت الرى عبر اجيال عديدة فى الصين . وبالجملة ، يحمل الكتاب كثيرا من الشروح والتفاسير والصور فى غاية الدقة .

٣ — كتاب « الابداع السماوى » لمؤلفه : سونغ ينغ شينغ عالم مخضرم عاصر اسرتى مينغ وتشينغ (١٦٤٤ — ١٩١١) ، ولد فى فنغشين ، مقاطعة جيانغشى ، وقد اتصل كثيرا بالشعب للاستقصاء العلمى وامعن عن كثب فى دراسة الزراعة والمهن الحرفية وفن الانتاج ، فاكمل كتاب : « الابداع السماوى » عام ١٦٣٧ ، وهو يلخص فن الانتاج فى عهد اسرة مينغ . والكتاب من ثلاثة ابواب تشتمل على ١٨ فصلا ، يتحدث عن التجارب الانتاجية لدى الفلاحين مركزا على وصف المهن الحرفية مثل الغزل والنسيج وصناعة الملح وعصر الزيت وصناعة الخزفيات واستخراج الفحم وتعدين النحاس والحديد وصناعة الحراب والبارود وغيرها . والجدير بالذكر ان المصنف يذكر بدقة عمليات انتاج كل مهنة من المادة الخام حتى المنتجات الجاهزة وكذلك التخصصات

فى المهن . هذا ويعكس الكتاب ملامح المعامل الحرفية فى ذلك العهد ، وبالاضافة الى ذلك فى طيات الكتاب صور مرفقة للمقالات . والكتاب ذخيرة قيمة يرجع اليها الباحثون فى احوال الانتاج الاجتماعى وترجم الى اللغات اليابانية والفرنسية والانجليزية وغيرها حتى اسماه الناس الموسوعة الصينية للمهن الحرفية فى القرن السابع عشر .

المفكرون

لى تشى (١٥٢٧ — ١٦٠٢) مفكر تقدمى فى اواخر عهد اسرة مينغ ، مسقط رأسه فى محافظة جينجيانغ ، مقاطعة فوجيان ، وقد ناهض الفلسفة والمبادىء الاخلاقية والفضائل والمكارم الاقطاعية ، يقول : يتكلم علماء الفلسفة الاخلاقية بما ليس فى قلوبهم ولا هم لهم سوى الجاه والمال ويلفظون بكلمات البر والكرم وهم فى الواقع اشرار وانهم لمن الفاسقين ! كما فند آراء كونفوشيوس (٥٥١ — ٤٧٩ ق . م) ومنشيوس (٣٩٠ — ٣٠٥ ق . م) بشدة ، فارتأى ان فلسفتهما الاقطاعية لاتصلح اليوم لقياس نعم ام لا ، والى جانب ذلك دعا الى المساواة بين الرجل والمرأة مناهضا الزعم القائل : الرجل متفوق على المرأة . وقال : ليست المرأة اقل فهما من الرجل ابدا . هذا وقد وجه لى تشى نقدا ودحضا للفلسفة الاقطاعية حول المبادىء الاخلاقية والفضائل والمكارم فنظر اليه الحكام نظرة مختلفة واخذوا يعاملونه معاملة « الطوفان والحيوان المفترس » حتى تعرض للقمع والاضطهاد وادخل فى السجن وهو فى الـ ٧٥ من عمره ثم وافاه اجله فى زنزانته .

هوانغ تسونغ شى (١٦١٠ — ١٦٩٥) : مفكر تقدمى مخضرم بين اسرتى مينغ وتشينغ ، مسقط رأسه محافظة يوييار ، مقاطعة تشجيانغ ، شارك فى الكفاح ضد اسرة تشينغ وهو فى مقتبل عمره . وبعد ذلك ، تعرض غير مرة للمطاردة من قبل حكومة تشينغ ثم استقر فى مسقط رأسه زاهدا عن الدنيا واخذ فى تصنيف الكتب التى فند فيها بدون رحمة نظام الديكتاتورية الاقطاعية . فقال : كل امبراطور يخطف سلطة الحكم لابد ان يسفك الدماء بقسوة . وعقب ان يعتلى عرش الحكم يتشدد فى النهب والاستغلال وتفريق العوائل كيما يعيش فى البذخ والترف . لذا لامفر من ظهور المآسى من الحكم الديكوري الامبراطورى .

وعندما لا يهتم الامبراطور بالشعب تطفو العداوة طبعا بينه وبينهم . و على الوزير ألا يخلص لسيده . اشار هوانغ تسوتغ شى انه ربما لايكون سديدا حكم الامبراطور وقد لايكون مخطئا من حكم عليه الامبراطور بالخطأ ، فيحق للشعب ان يحكم بنعم او لا . اما القانون الذى يضعه الحاكم فهو صالح لعائلته لا للمواطنين . لذا وجب عليهم ان يضعوا لانفسهم قانونا يعم البلاد بدلا من القانون الخاص بالعائلة الملكية و حدها . هذا وكانت آراءه السياسية تستهدف تطبيق افكار اهل الفضيلة من الطبقة المستغلة (بكسر الغين) لذا اصبحت مثيرة فى الثورة الديمقراطية البورجوازية من بعد .

وانغ فو تشى (١٦١٩ - ١٦٩٢) ، ولد فى هنغيانغ ، مقاطعة هونان ، وهو مفكر مادى عاش فى الفترة بين اواخر مينغ واوائل تشينغ . وقد عمل على تعبئة اهل مسقط رأسه فى الكفاح المسلح ضد اسرة تشينغ ، فى مقتبل عمره ، لكنه انتهى الى الفشل فتشود فى كل مكان وقضى عشرات السنين فى ظروف صعبة ثم لجأ الى جبل شيتشوان قرب هنغيانغ واستقر فى كوخ بسفح الجبل وهو فى شيخوخته واشتغل بتصنيف الكتب العلمية فاطلق عليه الخلف اسم « السيد تشوان شان » . ورث وانغ فو تشى تقاليد طيبة من علماء المادية مثل وانغ يون وامثاله مفندا الفلسفة الاخلاقية المثالية . فارتأى ان العالم يتكون من المادة ولم يخلقه احد . الوعى يأتى من المادة ولايعيش من غيرها ، كما ان المعرفة تأتى من الاشياء الموضوعية وهى مستقلة عن الوعى الذاتى . لا يمكن لا حد ان ينكر وجود الجبل لانه لا يراه ، لان الجبل موجود فعلا من الناحية الموضوعية — على حد تعبير وانغ فو تشى . المعرفة تأتى من الممارسة ولكنها لا يمكن ان تحل محل الممارسة : لا يمكنك ان تتعلم لعب الشطرنج بالاكتفاء بقراءة كراسى الشطرنج بل وجب اللعب مع الاخرين واستيعابه تدريجيا .

الروايات

ظهرت الروايات والقصص فى الصين فيما بين القرن الثالث — القرن السادس فى عهود اسرتى وى وجين و الاسر الجنوبية والشمالية . فى عهد اسرة تانغ

(٦١٨ – ٩٠٧) ازدهر الادب فظهرت الروايات الرائعة القصيرة نسبيا ثم ظهر الحوار بلغة واضحة بسيطة فى عهد اسرة سونغ (٩٦٠ – ١٢٧٩) والحوار هو الاصل الذى يعتمد عليه الرواة فى الروايات والقصص . ثم بدأ الادباء فى اواخر يوان (١٢٧١ – ١٣٦٨) واوائل مينغ يعمدون الى تصنيف الروايات بلغة واضحة بسيطة حتى اتموا تصنيف الروايات الممتازة ، طويلة وقصيرة ، فراج الفن الروائى واحتلت الآداب وضعا افضل من غيرها . وكان اشهر الروايات : «قصة الممالك الثلاث» و« على ضفة البحيرة» و« الرحلة الى الغرب » والتى انتشرت فى الاوساط الشعبية .

لوه قوان تشونغ (حوالى ١٣٣٠ – ١٤٠٠) روائى عاش فى اواخر اسرة يوان واوائل اسرة مينغ . ولد بمدينة تاييوان ، مقاطعة شانشى ، وهو صاحب «قصة الممالك الثلاث» وموضوعها مستقى من الحكايات التى شاعت منذ عهود اسرتى تانغ وسونغ عن الممالك الثلاث التى ظهرت فى القرن الثالث الميلادى . وهى عمل ادبى يشمل سلسلة من القصص التاريخية بداية من انتفاضة ذوى الربطات الصفر فى اواخر اسرة هان الشرقية (٢٥ – ١٢٠) الى اسرة جين الغربية (٢٦٥ – ٣١٦) ، وتصور الصراعات العسكرية والسياسية فيما بين طغمات وى ، شو ، وو الاقطاعية وكذلك تعكس قسوة الطبقات الحاكمة وآلام المتشردين وانتفاضة الفلاحين فى ذلك المجتمع . ولم يزود المصنف اجيالا عديدة من القراء بالمعرفة التاريخية وتجارب الصراعات العسكرية والسياسية فحسب ، بل اصطنع نماذج من الابطال المتحلين بالاخلاق المختلفة ، مثل تشو قه ليانغ رئيس الوزراء لدويلة شو حاذق وواسع الحيلة ، وتشانغ فى القائد الشهير شجاع وسخى ، وقوان يوى صامد وشجاع وتشو يوى المارشال الشاب لدويلة وو ذكى وطموح ، وتساو تساو رجل سياسى لدويلة وى ماهر فى الدهاء والمكر . والحكايات لا تطابق تماما الحقائق التاريخية آنذاك غير انها حيوية ومثيرة بصورة لا متناهية حتى ان الناس يرددونها الى يومنا هذا .

شى ناى آن ، روائى ، عاش فى اواخر اسرة يوان واوائل اسرة مينغ ، اخرج رواية (على ضفة البحيرة) وفقا للقصص الرائجة عن انتفاضة الفلاحين الذين اتخذوا من جبل ليانغشان قاعدة لهم ، وهذا الادبى يصف عمليات نشوء وتطور وفشل انتضاضة الفلاحين بقيادة الزعيم سونغ جيانغ بينما يكشف التناقضات فى المجتمع الاقطاعى ويثنى على معنويات الفلاحين فى الكفاح المسلح . ويحكى للقراء

سلسلة من قصص الكفاحات التى كان يخوضها الابطال الفلاحون مثل : البطل وو سونغ الذى يصارع النمر ويفتك به بسفح جبل جينغيانغ وقوات الانتفاضة التى شنت هجمات على قرية تشوجيا حتى دخلتها بعد استطلاع الطرق المتعرجة فى القرية . . وهذه الحكايات حيوية على ان هذا العمل الادبى يعكس فكر المصنف المخلص للاباطرة .

وو تشنغ ان (حوالى ١٥٠٠ — حوالى ١٥٨٢) روائى فى عهد أسرة مينغ ، مسقط رأسه فى شانيانغ (محافظة هوايآن ، مقاطعة جيانغسو ، حاليا) ابدع رواية طويلة اسطورية بعنوان : « الرحلة الى الغرب » استمد موضوعها من الحكايات المنتشرة بين الشعب عن البوذى شيوان تسانغ فى عهد اسرة تانغ الذى رحل الى تعلم البوذية ونقل الكتب البوذية من الهند . ورواية « الرحلة الى الغرب » تتحدث عن اربعة ابطال ، شيوان تسانغ ، سون وو كونغ ، تشو با جيه ، شاسنغ ، وصلوا الى الهند لنقل الكتابات البوذية متغلبين على الصعوبات والمشاق ومنتصرين على الشياطين والعفاريت والغيلان . ويصف المؤلف فى عمله العظيم سون وو كونغ كقرد حى اثار الفتنة فى القصر السماوى وقصر الملك التنين وجهنم دون مبالاة بالسلطات الحاكمة فى عالم الشياطين والجان . وهو ماهر فى معرفة الشياطين والجان والعفاريت والسحرة وقد هزمهم بالحيل والدهاء مثل الجنية العظمية البيضاء التى تنكرت على شكل بوذا الرحيم والعجوز والشيخ ، تقصد بذلك ان تخدع شيوان تسانغ ، على ان القرد قد تبين حقيقتها فوجه اوته اللمبية عليها فتحولت الى جثة عظيمة فى ضربته الثالثة لها . وعلى اية حال ، تدعو الرواية الى الديمقراطية تكشف مهارات بوذا اللامحدودة كما تبين جزاء الاحسان والاساءة .

نهوض قومية مانتشو والانتفاضة الفلاحية

دام حكم اسرة مينغ فى الصين ٢٧٦ سنة ، من ١٣٦٨ الى ١٦٤٤ . لقد عم الفساد والجور والمآسى ، فى هذا العهد ، انحاء البلاد اضافة الى الكوارث الطبيعية المتتالية التى نكب بها الفلاحون فى اواخر اسرة مينغ ، مما ادى الى اندلاع انتفاضة فلاحية وتأسيس سلطة الفلاحين ، على ان ثمار النصر خطفتها القوات المسلحة بقيادة قومية مانتشو ومن ثم بدأت صفحات اسرة تشينغ فى التاريخ الصينى .

نهوض قومية مانتشو

قومية مانتشو تعود فى اصولها الى قبائل نيويتشن بشمال شرقى الصين وانتشرت فى اوائل اسرة مينغ فى احواض انهار هيلونغ وسونغهوا ومودان وسيويفن على حدود دائرة نورقان . فى البدء ، نشأت العلاقات التجارية بين قومية هان وقبائل نيويتشن فكانت الاولى تزود الاخيرة بالادوات الحديدية والغلال والملح والمنسوجات الحريرية فى مقابل الخيول وجلد السمور وتبات الجنسن الطبى والدرر وغيرها . ثم تطور الانتاج تدريجيا فى قبائل نيويتشن بناء على اساس اجادتهم فن صهر الحديد فى اواخر القرن السادس عشر . وكانت نيويتشن آنذاك فى مرحلة المجتمع العبودى . وما اكثر ما دارت رحى الحروب الضارية فيما بين زعماء القبائل وما اكثر ما جرى من اعمال الخطف والنهب والسلب .

اتحدت قبائل نيويتشن على يد نور هاتشى (١٥٥٩ — ١٦٢٦) القائد العام للجيش المرابط بولاية جيانتشو (بحدود محافظة شينبين ، مقاطعة لياونينغ ، حاليا) ، ابتداء من عام ١٥٨٣ ، بعد محاولات دامت ثلاثين سنة . وقد نظم الجيش والسكان فى ألوية ثمانية ، يضم كل لواء عديدا من نيولو (وحدة قاعدية) ، وكل نيولو من ٣٠٠ شخص . وذكرت السجلات التاريخية : « افراد اللواء محاربون ومدنيون » . معناه : اذا وقعت الحرب خرجوا للقتال واذا توقفت

انصرفوا للصيد والزراعة . وفى الحقيقة ، كان نظام الألوية الثمانية يجمع بين الحرب والسياسة ، وقد لعب دورا هاما فى توطيد الصلات والاواصر فيما بين القبائل . ثم نصب نور هاتشى نفسه «خان» عام ١٦١٦ (اعتادت الاقليات القومية فى شمال الصين نسمية حكامها بلقب خان منذ قديم الزمان) واتم تأسيس سلطة الحكم واسماها دولة جين ، متخذا من هاتوآلا (مدينة قديمة غرب محافظة شينبين ، مقاطعة لياونينغ ، حاليا) عاصمة له . ويتحدث بعض المؤرخين الصينيين عن تكوين قومية مانتشو قائلين بأن سلطات ملاك العبيد اعلى الهيئات السلطانية ظهرت فى اواخر اسرة جين ، وهذا قد يرشدنا الى معرفة تشكيل قومية مانتشو .

كان نورهاتشى على رأس الجيش يشن هجمات على جيش مينغ شرق لياونينغ ، ابتداء من عام ١٦١٨ فاستولى على مساحات شاسعة من حوض نهر لياوخه ونقل عاصمة دولته الى مدينة شنيانغ . ولما اعتلى ابنه هوانغ تاى جى (١٥٩٢ — ١٦٤٣) ابنه هوانغ تاى جى (١٥٩٢ — ١٦٤٣) عرش الحكم بعد وفاته ابدل اسم قومية نيويتشن بقومية مانتشو ونصب نفسه امبراطورا عام ١٦٣٦ واسمى دولته تشينغ . وقد ضم هوانغ تاى جى (تشينغ تاى تسونغ) منطقة شمال شرقى الصين تدريجيا .

وتحول النظام العبودى الى النظام الاقطاعى فى قومية مانتشو بصورة حثيثة بعد دخولها فى لياونينغ . وقد سخر الحكام الأسرى والرعايا فى اعمال الزراعة خدمة للامبراطور والنبلاء . وبذلك نشأ نظام الرق الزراعى الاقطاعى .

وعندما تولى تشينغ تاى تسونغ سلطة الحكم سيطرت قوات تشينغ المسلحة على اجزاء منغوليا الداخلية واخذت تشن هجمات على جنوب السور العظيم غير مرة حتى حاق الخطر باسرة مينغ من كل جانب .

الحكم الفاسد واحتكار الأراضى فى اواخر اسرة مينغ

عم فساد الحكم الاقطاعى انحاء البلاد فى اواخر اسرة مينغ . فقلما اهتم الامبراطور بشئون الدولة . ولم يقابل الامبراطور مينغ شن تسونغ (١٥٦٣ — ١٦٢٠) الوزراء زهاء عشرين سنة بل كان يكلف خصيان القصر

بمعالجة الشئون الادارية وعندما اعتلى الامبراطور مينغ شى تسونغ (١٦٠٥ — ١٦٢٧) عرش الحكم ، امسك وى تشونغ شيان كبيرخصيان القصر بسلطة الحكم فى قبضته ، وكان متعصبا يسعى وراء المصلحة الشخصية ويقبل الرشوة ولايتورع عن فعل اى سؤ حتى اخذ الوزراء والنبلاء يدورون فى فلكه ، وكان بدوره يتبناهم فغرق هو واتباعه فى الفساد والفسق وبالتالى استعبدوا الشعب استعبادا فظيعا . واضافة الى ذلك ، نشر وى تشونغ شيان عيونه فى جميع انحاء البلاد لمراقبة الموظفين المخلصين وكبت مشاعر الشعب التى فاض بها الكيل ضد الطغاة . فاذا أظهر احد تبرمه تعرض فى الحال للقمع الى درجة يسلخ جلده ويبتر لسانه . ولما كان هذا الاستغلال وذلك الاضطهاد فى غاية القسوة والشناعة اصبح الجم الغفير من الشعب على فوهة بركان ثائر . هذا ولاننسى ان طبقة ملاك الاراضى قد نهبت مساحات شاسعة من الحقول من الفلاحين الفقراء ، وقد بلغ نهب ومصادرة الاراضى حدا مذهلا فى اواخر اسرة مينغ حيث منح الامبراطور مساحات هائلة لمن شاء من النبلاء والوزراء وخصبيان القصر . فقد ورد فى الكتب التاريخية ان الامبراطور مينغ شن تسونغ قد منح ابنه لامير تشو تشانغ شيون ١٣٠ الف هكتار من الحقول دفعة واحدة ، بينما كان ملاك الاراضى والنبلاء ينتزعون مساحات هائلة من الحقول من الفلاحين حتى فقدت تسعون بالمائة من العوائل اراضيها على امتداد وادى بحيرة تايهو جنوب الصين ، واضطرت اكثرية الفلاحين الى استئجار الارض من ملاك الاراضى فى مقابل اجور باهظة وفجأة اعلنت حكومة مينغ عن زيادة جبى الضرائب لجميع الحقول بعلية او خصبة ، ذات دخل او بدون دخل ، وذلك من اجل محاربة اسرة جين . وفى الحال ، فرض ملاك الاراضى الاعباء الثقيلة على الفلاحين حتى ما كان بمقدورهم ابدا تأدية الضرائب والغلال للامبراطور .

الانتفاضة الفلاحية شمال شنشى

لقد نزلت بشمال شنشى الكوارث الطبيعية المتتالية فى اواخر اسرة مينغ فاقتات الفلاحون العشب ولحاء الشجر حتى مساحيق الصخور البيضاء تجرعوها ، واضافة الى ذلك كانت الحكومات المحلية تجبر الفلاحين تحت السياط على

اداء اجور الارض ، فعاش الفلاحون عيشة لا تطاق حتى نهضوا بمحافظة تشنغتشنغ عام ١٦٢٧ رافعين راية التمرد ، وفى العام التالى تبعهم امثالهم فى كل انحاء شنشى فامتدت الانتفاضة الفلاحية من شنشى الى شرق مقاطعة قانسو بصورة سريعة وظهرت منها فئات عديدة من القوات المسلحة بقيادة الزعماء المشاهير : قاو ينغ شيانغ (؟ – ١٦٣٦) ، لى تسى تشنغ (١٦٠٦ – ١٦٤٥) ، تشانغ شيان تشونغ (١٦٠٦ – ١٦٤٦) .

لى تسى تشنغ : ولد لعائلة فلاح بمحافظة ميتشى ، مقاطعة شنشى ، وعمل صغيرا على رعى المواشى لمالك الارض ، وكثيرا ما تعرض للجلد على ظهره بالسياط اللاسعة ، فلما بلغ اشده اشتغل خادما بمركز ينتشوان للبريد من نفس المحافظة . وذات مرة اصدر رئيس المحافظة اوامره بالقاء القبض عليه وحكم عليه بالسير فى الشوارع والنير على عنقه ،لعجزه عن تسديد القروض الى الوجيه القروى ، ووضع فى السجن . ففر من السجن والتحق بجيش مينغ ثم بقوات الانتفاضة بقيادة قاو ينغ شيانغ . وكان لى تسى تشنغ جلدا صبورا تحمل الفقر والبؤس والتقشف ، وكان شجاعا مقداما سبق الآخرين فى القتال فاحبه الاهالى والمحاربون من الفلاحين .

وصلت قوات الانتفاضة بقيادة قاو مقاطعات خنان ، هوبى ، سيتشوان وشنشى فحشدت حكومة مينغ الحشود لمجابهة المتمردين وضربت عليهم حصارا بمنطقة الصين الوسطى ، مستهدفة ابادتهم دفعة واحدة وبضربة واحدة . فاجتمع زعماء ١٣ مجموعة من قوات الانتفاضة فى محافظة شينغيانغ مقاطعة خنان ، فى فى الشهر القمرى الاول عام ١٦٣٥ للتداول فى كيفية مجابهة جيش مينغ الحكومى ، واخذوا ما اقترحه لى تسى تشنغ بأن تتحد الفئات لمجابهة العدو فى جهات الغرب والجنوب والشمال وتتجه قواتهم الرئيسية الى الشرق ، النقطة الضعيفة للعدو . ثم اخترقت القوات الرئيسية بقيادة قاو ، لى ، تشانغ الخط الشرقى للعدو وتوجهت للاستيلاء على محافظة فنغيانغ ، مقاطعة آنهوى ، مسقط رأس اباطرة مينغ ، وقد قطعت مسافة خمسمائة كيلومتر وهدمت قبور آبائهم ، ثم نجحت فى تحطم خطة الابادة والتطويق للجيش الحكومى . وبعد ذلك وقع قاو ينغ شيانغ اسير بيد العدو عبر معركة عنيفة واستشهد عام ١٦٣٦ . فنصبت قوات الانتفاضة

لى تسى تشنغ قائدا لها واطلقت عليه لقب الملك المغوار ، ثم انقسمت قوات الانتفاضة الى فئتين ، احداهما انتقلت بقيادة لى الى مقاطعات شنشى وقانسو وسيتشوان وهوبى وخنان ، والاخرى توجهت بقيادة تشانغ شيان تشونغ الى مقاطعات هوبى وسيتشوان وغيرهما .

تأسيس سلطة الفلاحين

دخلت قوات الانتفاضة بقيادة لى تسى تشنغ مقاطعة خنان عام ١٦٤٠ . وآنذاك ، نزلت كوارث القحط والجراد بمنطقة الصين الوسطى وابقت حكومة مينغ نظام ضرائب وتحصيل الغلال على ما كان عليه . واضافة الى ذلك ، فرضت على الفلاحين ضرائب عديدة مثل « ضريبة ابادة اللصوص » و« ضريبة التدريب العسكرى » حتى زادت الضرائب الاجمالية على الدخل السنوى لحكومة لينغ . بيد ان قوات الانتفاضة رفعت شعار « توزيع الحقول بالمساواة واعفاء المزارعين من الضرائب » . وورد فى كتب التاريخ الصينى ان هذا الشعار يرمز الى تطور الحرب الفلاحية فى المجتمع الاقطاعى الصينى الى مرحلة جديدة داعيا الى الغاء ملكية الاراضى الاقطاعية . فلاقى هذا الشعار الذى قدمه لى تسى تشنغ قبولا حارا من قبل الجماهير الغفيرة فى المدن والارياف ، حتى اخذ الناس يرددون : « لنفتح الابواب لاستقبال الملك المغوار ولنرتع جميعا فى الارض بحرية » . فالتحق بقوات الانتفاضة الفلاحون والفقراء واصحاب المهن اليدوية فى المدن وناهز عددهم مليون شخص .

استولت قوات الانتفاضة بقيادة لى تسى تشنغ على مدينة لويانغ ، مقاطعة خنان عام ١٦٤١ ، وحكمت باعدام تشو تشانغ شيون ابن الامبراطور ، كما صادرت ما لا يحصى من الغلال والذهب والفضة لدى النبلاء والعوائل الغنية ووزعتها على الفلاحين الفقراء .

وانتصرت قوات الانتفاضة انتصارات كبرى فى خنان وانتهت الى السيطرة على مقاطعة خنان واجزاء من مقاطعة هوبى . واسس لى تسى تشنغ سلطة الحكم بمدينة شيانغيانغ ، مقاطعة هوبى ، واطلق عليه الناس ملك شنشون وكان ذلك عام ١٦٤٣ . ثم دعا القواد العسكريين الى التداول حول السياسة الاستراتيجية :

الاستيلاء على منطقة شنشى الوسطى كقاعدة ثم العبور من شانشى الى بكين عاصمة مينغ . فدارت رحى الحرب بين جيش مينغ الحكومى وبين قوات الانتفاضة غرب مقاطعة خنان وقرب مدينة شيانغتشنغ ، مقاطعة هوبى ، واصيب جيش مينغ بضربات قاتلة حتى استنفدت قواه القتالية . وفى الحال ، انتهزت قوات الانتفاضة تلك الفرصة لتشن هجمات على منطقة شنشى الوسطى حتى استولت عليها وسيطرت على قانسو واينغشيا ، وما ان هلت السنة الجديدة ، سمى لى تسى تشنغ شيآن بشيجينغ العاصمة الغربية واقام دولة داشون ولقب تلك السنة بسنة يونغتشانغ الاولى .

الهجوم على بكين والاطاحة باسرة مينغ

تقدمت قوات الانتفاضة بقيادة لى تسى تشنغ وليو تسونغ مين القائد العام المنحدر من عائلة حداد والقواد العسكريين الى بكين عاصمة مينغ ، منطلقة من شيآن . فاينما وصلت ساعدت الفلاحين الفقراء على استعادة الحقول الزراعية اليهم معلنة : « اعفاء المزارعين عن الضرائب والغلال خمس سنوات » ، وقد بذل لى تسى تشنغ جهدا جهيدا فى تهذيب المحاربين وتعزيز الانضباط العسكرى

وكذلك نهى عن اخفاء الذهب والفضة والاستيطان فى بيوت السكان ووطء النباتات الخضراء وسفك الدماء بغير حق ، كما حدد نظما تجارية عادلة . ثم واصلت قوات الانتفاضة تقدمها الى الامام بعد الاستيلاء على مدينة تاييوان ، مقاطعة شانشى ، فاستسلم لها جيش مينغ رافعا الرايات البيض . تم هذا فى الوقت الذى نهض فيه السكان لمطاردة الموظفين الفاسدين ، وخرجوا لاستقبال قوات الانتفاضة حاملين اطباق اللحوم والنبيذ . فتوفقت قوات الانتفاضة فى عبور مدن داتونغ ، شيوانهوا حتى دخلت قلعة جيويونغ وانتهت من ضرب حصار على بكين ، فاستسلم حراس بكين كليا ، وفى الحال ، هرب امبراطور مينغ الاخير الى خلف القصور وانتحر على شجرة بسفح تلة ميشان (حديقة جينغشان ، حاليا) وهكذا نجحت الثورة الفلاحية فى الاطاحة بحكم مينغ الرجعى .

وقد وجه لى تسى تشنغ اوامره لجيش الانتفاضة ان يدخل بكين فى صفوف

منسقة يوم ١٩ من الشهر الثالث القمرى ، فخرج اهل بكين الى استقباله بعد ان زينوا البنايات بأشرطة ملونة واشعلوا القناديل الحمر ليلا . وفى الظهر دخل المدينة لى تسى تشنغ عبر بوابة الانتصار من جهة الشمال وهو يمتطى حصانا ادهم ويرتدى لباسا اسود من القماش القطنى وعلى رأسه قبعة صوفية ، تحيط به كتيبة من الفرسان الاقوياء ، بينما وقف على جوانب الشوارع بحر من البشر لاستقبال الملك المغوار وقد رجفت الارض بصدى الهتاف والتحيات الى ان عبر لى ذلك البحر الهائج فرحا ودخل المدينة المحرمة .

عملت قوات الانتفاضة ببكين على قمع النبلاء وملاك الاراضى ومصادرة ممتلكاتهم كليا واجبرت بعضهم على اعادة الاتاوات التى حصلوها ، وبذا تحطمت غطرسة الظالمين وابتهج المظلومون رافعين رؤوسهم .

لكن حفنة من فلول اسرة مينغ واصلت المقاومة بعناد بينما كانت قوات تشينغ المسلحة شمال شرقى الصين على اهبة الاستعداد لشن الهجمات على قلعة شانهايقوان كيما تتقدم الى الجنوب . وآنذاك ، أنتشت رؤوس قواد جيش الفلاحين بالانتصار المؤقت واصابتهم الكبرياء والغطرسة وغفلوا عن خطورة الأمر . وبعد مدة قصيرة استسلم ووسان قوى قائد مينغ المرابط فى قلعة شانهايقوان لاسرة تشينغ من قومية مانتشو ، فاضطر لى تسى تشنغ الى توجيه الجيش الى الشرق فى الشهر الرابع من نفس السنة القمرية فدارت رحى الحرب بينه وبين وو سان قوى ، فدخل جيش تشينغ قلعة شانهايقوان وكان دليله وو حتى انهزم جيش الفلاحين . وفى الحال ، رجع لى بالجيش الى بكين فانسحب منها الى مقاطعة شنشى مستهدفا مواصلة النضال المسلح فى منطقة شنشى الوسطى كقاعدة .

احتل جيش تشينغ بكين ونقل عاصمة اسرة تشينغ الى بكين ، فاتحدت طبقة ملاك الاراضى لقوميتى هان ومانتشو وانقضت على جيش الفلاحين فوجه لى تسى تشنغ بجيش الفلاحين ضربات مؤلمة لجيش تشينغ لكن ذلك لم ينقذه من الوضع السيء ، حتى دخل جيش تشينغ فى مقاطعة شنشى بارشاد قواد مينغ مثل وو سان قوى وغيره . وانسحب جيش الفلاحين من شنشى عبر معارك عنيفة عام ١٦٤٥ وانتقل الى مقاطعة هوبى . فخرج لى تسى تشنغ باكثر من عشرين فارسا للاطلاع على طوبوغرافية سفح جبل جيوقونغ بمحافظة تونغشان وكان

ذلك فى يوم من ايام الشهر الخامس وفجأة تعرض هو والفرسان للهجمات المباغتة من قبل العدو حتى استشهد زعيم الفلاحين هذا وهو يناهز ٣٩ سنة من عمره . وآنذاك ، كان جيش الانتفاضة بقيادة تشانغ شيان تشونغ يحارب فى المجرى الاوسط لنهر اليانغتسى . وعندما احتل لى تسى تشنغ بكين ، كان تشانغ قد استقر فى مدينة تشنغدو بمقاطعة سيتشوان حيث اسس سلطة الحكم المسماة « دولة الغرب الكبير » . وبعد ذلك استشهد تشانغ لدى دخول جيش تشينغ فى مقاطعة سيتشوان .

ثم واصل جيش الانتفاضة بقيادة لى دنغ قوه ولى لاى هنغ محاربة جيش تشينغ حوالى عشرين سنة .

الحروب للدفاع عن سيادة الارض

خاضت الصين نضالات مسلحة من اجل استعادة اراضيها ومقاومة الغزاة فى أواخر عهد أسرة مينغ (١٣٦٨ – ١٦٤٤) واوائل عهد اسرة تشينغ (١٦٤٤ – ١٩١١)، وقد جرى ذلك فى المنطقة الساحلية جنوب شرقى الصين ومنطقة شمال شرقى الصين .

استعادة جزيرة تايوان وانشاء ولاية تايوان الادارية

بدأ المستعمرون الاوربيون يزعجون المنطقة الساحلية جنوب شرقى الصين بغارات متكررة فى القرن السادس عشر . فاحتل المستعمر البرتغالى مكاو غرب مصب نهر اللؤلؤ بمقاطعة قوانغدونغ عام ١٥٥٣ ، ثم احتل المستعمر الهولندى المنطقة على امتداد السواحل الجنوبية الغربية لجزيرة تايوان ، قرب خليج آنبينغ عام ١٦٢٤ ، حيث اتم تشييد مدينة تشيتشيان (مدينة آنبينغ جنوب تايوان ، حاليا) وبعد ذلك جاء الاسبان ليحتلوا بدورهم جيلونغ (مدينة جيلونغ ، مقاطعة تايوان ، حاليا) ودانشيوى شمال تايوان عام ١٦٢٦ . ثم جرت الاشتباكات بين الفئتين الهولندية والاسبانية ، فتغلبت الفئة الاولى وابتلعت الجزيرة باجمعها ، ففرضت على الأهالى ضرائب وجبايا باهظة كما نهبت اعدادا كبيرة من ابناء تايوان وباعتهم كعبيد فى جاوا ، فنهض شعب تايوان يخوض الكفاحات الحازمة مستهدفا اخراج المستعمرين الهولنديين من الجزيرة .

تشنغ تشنغ قونغ (١٦٢٤ – ١٦٦٢) من الابطال الذين كانوا يقاومون اسرة تشينغ ، وكان يرابط فى المنطقة الساحلية جنوب شرقى الصين . ووجه على رأس قواته المسلحة ضربات ساحقة ماحقة لجيش تشينغ متخذا من شيامن وجينمن قاعدة له . ثم اقلعت منهما ٣٥٠ سفينة حربية حاملة ٢٥٠٠٠ ضابط وجندى بقيادته ومخرت عباب البحر عابرة مضيق تايوان حتى رست بساحل تايوان الغربى فنزل جنود تشنغ بارضها وهزموا عبر معارك عنيفة المستعمرين الهولنديين ،

الذين احتلوا جزيرة تايوان ٣٨ سنة واجبروهم على الاستسلام وكان ذلك فى مطلع عام ١٦٦٢ ، وبهذا قد عادت جزيرة تايوان الى احضان وطننا الأم .

ولقد عمل تشنغ تشنغ قونغ على انشاء الولايات والمحافظات والهيئات الادارية فى جزيرة تايوان واغراء المهاجرين من اليابسة الصينية لاستصلاح الارض البور وتشييد الحقول المزروعة . وآنذاك ، لم يكن احد من قومية قاوشان فى الجزيرة يعرف ان البقر حيوان يصلح للحراثة ولم يكن منهم من يجيد طريقة استخدام المحراث والمعول والمنجل وغيرها . فزود تشنغ تشنغ قونغ ابناء قومية قاوشان بالابقار والآلات الزراعية كما ارسل اليهم المرشدين الزراعيين كى يعلموهم طريقة الزراعة والحراثة والحصاد ، وانشأ لصغارهم مدارس يتلقون فيها العلم .

واجتاز جيش تشينغ مضيق تايوان ونزل بجزيرة تايوان عبر معارك عنيفة عام ١٦٨٣ ، وفى العام التالى انشأت حكومة تشينغ ولاية تايوان بادارة مقاطعة فوجيان . هذا وقد عززت الصلات والاواصر بين الجزيرة وبين اليابسة الصينية كما دفعت عجلة تنمية الجزيرة وتوطيد الدفاع البحرى الوطنى .

صد عدوان روسيا القيصرية

احتلت روسيا القيصرية مساحات شاسعة شمال شرقى الصين ، مغتنمة فرصة تقدم جيش تشينغ الى جنوب قلعة شانهايقوان . وكانت روسيا القيصرية من الدول الاوربية التى لا تتصل اراضيها بالصين ، ثم اجتاز جيشها جبال الاورال مستهدفا توسيع نفوذها الى الشرق فاحتل مساحات شاسعة من سيبيريا وقد حدث ذلك فى اواخر القرن السادس عشر ، هذا وقد وجهت روسيا القيصرية حربة رمحها نحو بلادنا فبعثت حشودا حاشدة بقيادة بوياكوف ، خاباروف ، ستيبانوف وآخرين . وابتداء من عام ١٦٤٣ ، تجاوزت جيوش روسيا القيصرية منطقة ماوراء جبل شينغآن واحتلت ياكسا وغيرها من وادى نهر هيلونغ فاتخذت منها قاعدة للعدوان على الوادى . وفى نفس الوقت ، ارسلت جماعة اخرى من القوات المسلحة نحو شرق بحيرة بيكال فاحتلت نيبوتشو (نيرتشينسك) وغيرها . واينما وصل جيش روسيا القيصرية عمل فى السلب والنهب والاحراق ولم يكن يتورع عن فعل اى سوء . فقام السكان من الاقليات القومية على اجيال مختلفة فى وادى نهر هيلونغ بمشاركة جيش تشينغ فى النضالات الحازمة ضد الغزاة من

روسيا القيصرية .

وطلبت حكومة تشينغ غير مرة من غزاة روسيا القيصرية ان ينسحبوا من اراضى الصين وان يتوصل الطرفان الى ايجاد حل لمشكلة الحدود بين البلدين عبر المفاوضات السلمية ، ولكن حكومة روسيا القيصرية صمت آذانها عن انذارات ونصائح حكومة تشينغ بل طلبت من اسرة تشينغ « ان تقدم عصا الطاعة لامبراطور روسيا القيصرية » وسجلت تلك العبارة فى كتاب تاريخى ، ثم تشددت فى زيادة عدد الجيش المرابط فى ياكسا وتعزيز التوسع العسكرى ، هذه من جهة ، ومن جهة اخرى ، كان الامبراطور كانغ شى لأسرة تشينغ الذى تولى سلطة الحكم من عام ١٦٦٢ الى عام ١٧٢٢ يزمع الاعداد للحرب الدفاعية لصد الغزاة من روسيا القيصرية ، بعد توطيد سلطة الحكم على منطقة الصين الوسطى وذلك من اجل حماية منطقة الحدود بين البلدين من الغارات . فخرج بنفسه يتفقد احوال مقاطعة جيلين وغيرها شمال شرقى الصين . ووجه اوامره الى بنغ تشون بأن يقود الجيش ليشن الهجمات برا وبحرا على غزاة روسيا القيصرية فى ياكسا . فنهض السكان من الاقليات القومية على ضفاف نهر هيلونغ للمشاركة فى تشييد اسوار المدينة والمراكز المختلفة وصناعة السفن الحربية ونقل الغلال والاعشاب الى الجيش ، وكذلك سعوا للقبض على الاسرى واستطلاع احوال الغزاة . فشن جيش تشينغ هجمات عنيفة على ياكسا وهدم اسوار المدينة فتلقى جيش روسيا القيصرية ضربات قاتلة حتى اضطر الى الاستسلام ، لكن جيش روسيا القيصرية دخل فى ياكسا بعد ان انسحب جيش تشينغ منها ، وقد حدث ذلك عام ١٦٨٥ . ثم وجه الامبراطور كانغ شى اوامره بشن هجمات على ياكسا عام ١٦٨٦ ، وفى الحال ، تقدم جيش تشينغ بقيادة سابوسو لحصار وتطويق ياكسا وقطع مصدر الماء عن المدينة وصب قذائف المدفعية يوميا على المدينة وقد استغرقت العمليات الحربية نصف سنة حتى اصيب تولبوتين القائد الروسى القيصرى بقذيفة ومات ، بينما باء جيش روسيا القيصرية بخسران باهظ . فلما وجدت حكومة روسيا القيصرية ان الحقائق الواقعية غير ملائمة لطموحها فى احتلال وادى نهر هيلونغ ، اتفقت على حل مشكلة الحدود الشرقية بين البلدين عبر المفاوضات السلمية .

جرت المفاوضات بين ممثلى البلدين الصين وروسيا القيصرية فى نيبتشو

(نيرتشينسك) عام ١٦٨٩ ، ووقع كل منهما على اتفاقية نيبتشو . وكتبت الاتفاقية باللغات اللاتينية والمنشورية والروسية . ونصت الاتفاقية على : ان الحدود بين البلدين نهر قوربيتسا ونهر ارقون ومن شرق منطقة ما وراء جبال شينغآن الى البحر ، وان المنطقة شمال منطقة ما وراء جبال شينغآن وغرب النهرين المذكورين آنفا تابعة لروسيا ، والمنطقة جنوب منطقة ما وراء جبال شينغآن وشرق النهرين المذكورين تابعة للصين . كما نصت الاتفاقية على : تحديد الخط للمنطقة الشرقية من الحدود بين البلدين قانونيا ، وان مساحات شاسعة من منطقة اودية نهرى هيلونغ واوسولى بما فيها جزيرة سخالين تابعة للصين . وافقت وروسيا القيصرية على سحب قواتها المسلحة من ياكسا وان تتنازل حكومة تشينغ عن المنطقة قرب نيبوتشو شرق بحيرة بيكال والتى كانت تابعة للصين .

الاقتصاد والسياسة فى أوائل عهد أسرة تشينغ

أسرة تشينغ الملكية هى آخر أسرة اقطاعية حكمت الصين من عام ١٦٤٤ الى عام ١٩١١ ، واتخذت من بكين عاصمة لها عام ١٦٤٤ بعد ان جلس على عرش الحكم شون تشى (١٦٣٨ - ١٦٦١) ثالث اباطرة تشينغ ، والذى ورث عن أبيه سلطة الحكم فى طفولته ، وقد طلب الى عمه الأمير دورقون ادارة شئون الدولة فترة من الزمن .

استمرت الحروب حوالى عقدين من الزمن مستهدفة قمع الخارجين على أسرة تشينغ . وذكرت كتب التاريخ : « الرعايا لا خلف لهم والحقول مجدبة » ، مشيرة الى ان الانتاج الزراعى فى مناطق عديدة قد تعرض للأهمال والتخريب .

انتعاش وتطوير الزراعة والمهن الحرفية

اضطر حكام تشينغ الى تعديل سياستهم توطيد للحكم الاقطاعى ، فلجأت حكومة تشينغ الى تدابير تشجع بها على استصلاح الارض البور ، ووضعت اساسا لبيان منجزات الموظفين المحليين فى الاشراف على عمليات الاستصلاح . وعندما تولى كانغ شى (١٦٥٤ - ١٧٢٢) سلطة الحكم اصدر فى عام ١٦٦٩ مرسوما ينص على اعادة الحقول الزراعية العائدة الى امراء اسرة مينغ الى المزارعين الذين اشتغلوا فيها آنذاك ، واطلاق اسم « الحقول المتغير أصحابها » عليها ثم اصدر مرسوما فى عام ١٧١٢ ينص على جبى ضريبة الرؤوس عن عدد النفوس المحصية وذلك العام الـ ٥٠ من حكمه الموافق لعام ١٧١١ م ، واعفاء من ولدوا فى ذلك العام فصاعدا . وبعد ذلك اعلنت طريقة «اضافة ضريبة الرؤوس فى الخراج»

أى توزيع نسبة ضريبة الرؤوس فى الخراج وجبى ضريبة موحدة للرؤوس والخراج . هذا وقد فترت سيطرة النظام الاقطاعى على الفلاحين بتحقيق الضريبة الموحدة ، وتخلص الفلاح المعدوم الحقل من ضريبة الرؤوس ، ودفع اصحاب الحقول الضريبة الموحدة حسب مساحاتها ، فبدت الموازنة بين هذا وبين ذاك . ومن ثم اندثرت ظواهر اخفاء عدد أفراد الأسرة تدريجيا ولم يكن احد يهرب من خدمات السخرة وضريبة الرؤوس .

بدأ الانتاج الزراعى ينتعش ويتطور تدريجيا فى أواسط عهد الامبراطور كانغ شى ، فأتم الفلاحون فى أنحاء البلاد استصلاح مساحات شاسعة من الأراضى البور حتى تزايدت ٤٠٪ من مساحات الحقول المزروعة على امتداد مائة سنة من أوائل عهد أسرة تشينغ وبلغ عدد السكان ٣٦٠ مليونا وازداد انتاج الرز اكثر من ذى قبل . واخذت زراعة الباطاط الحلوة تتاهر فى أودية نهر اليانغتسى والنهر الاصفر بعد ان جلبت من مقاطعتى فوجيان وتشجيانغ . وبعد ذلك ، ارتفع انتاج البطاطا الحلوة ارتفاعا ملحوظا وتحولت الى طعام رئيسى كما توسعت مساحات المغروسات القيمة مثل التبغ توسعا كبيرا .

وكان الصناع قد دونت اسماؤهم فى سجلات دائرة الصناع فى أوائل أسرة تشينغ فوجب عليهم ان يدفعوا ضريبة عضوية دائرة الصناع . ا. تهرب الصناع كثيرا . فألغت حكومة أسرة تشينغ انظمة عضوية دائرة الصناع وانتهت انظمة خدمات الصناع على هذا النحو ، ومن ثم تمكن الصناع من اخراج المنتجات الحرفية مغتنمين تلك الفرصة ، الى جانب ذلك نذكر ان المهن الحرفية قد اخذت تسير فى طريق النمو .

ازدهرت المهن الحرفية فى أوائل أسرة تشينغ أكثر من السابق . فمثلا ، تطورت صناعة الحرير تطورا مطردا حتى أنه كان فى مدينة سوتشو جنوب الصين عشرة آلاف نول واكثر ، ثم ارتقت فى مدينتى نانكين وقوانغتشو وغيرهما الى حد كبير ، ٣٠ الف نول او أكثر كانت فى مدينة نانكين . وايضا تطورت الخزافة فى بلدة جينغده تطوراً اوسع نطاقا عن ذى قبل . وكذلك تطورت صناعة صهر المعادن ، مثلا ، كثرت مناجم النحاس فى مقاطعة يوننان وبلغ العمال فى اكبر المناجم عشرات الآلاف . وكان معمل لصهر الحديد فى مقاطعة قوانغدونغ

علو الفرن فيه ستة امتار وسمك حيطان الفرن ٧٠ سم تقريبا . اذا جرت عمليات الصهر عبقت السماء بالدخان والنار . وانصبت المصهورات فى حوض مربع فعقدت وتحولت الى الواح رقيقة ، وكان الانتاج يوميا ١٢ — ٢٠ لوحا يزن كل واحد منها ١٥٠ كيلوغراما .

تطور الرأسمالية

تطورت التجارة تطورا تدريجيا مع انتعاش وتطور الزراعة والمهن الحرفية .

ونمت المهن الحرفية الرأسمالية فى جنوب نهر اليانغتسى وفى قوانغدونغ وتوسعت معاملها فى أوائل عهد أسرة تشينغ . فكانت ٥٠٠ — ٦٠٠ نول فى اضخم معمل من معامل الأنسجة الحريرية بنانكين ، حيث استثمر اصحاب الانوال الاموال فى صناعة الأنسجة الحريرية وكانت أجور العمال حسب عملهم . وامتلك عدد كبير من تجار الأنسجة الحريرية فى مدينة سوتشو مقادير هائلة من الراسمال والمواد الخام والانوال زودوا بها العوائل الصغيرة كيما تنتج الحرائر ثم جمعوا منها الحرائر لبيعها فى السوق كما كان افراد العوائل الصغيرة ينسجون الحرائر مقابل اجور وفق مقادير المنسوجات ، واقام بعض التجار الكبار انفسهم معامل المهن الحرفية واستكروا العمال بصورة مباشرة لينسجوا لهم الحرائر . فاعتبر التجار الكبار وأصحاب الأنوال الكبار رأسماليين فى وقت مبكر .

وكان الفلاحون فى غاية الفقر نتيجة الاستغلال والاضطهاد من قبل ملاك الأراضى ، ولم يكن بوسعهم ابتياع ما يحتاجون اليه من المنتجات الحرفية ، وتأثر توسيع المهن الحرفية بأجور الأرض الباهظة وتصرفات التجار وملاك الأراضى الذين اشتروا الحقول المزروعة بما جنوه من ارباح طائلة . والى جانب ذلك عملت حكومة تشينغ على تنفيذ سياسة «الاتجاه الى الزراعة والضغط على التجارة» فوجهت اوامرها غير مرة الى حظر التجارة الخارجية . كما اقامت مراكز فى انحاء البلاد تجبى ضرائب باهظة على ما كان يحمله التجار . اضافة الى سيطرة حكام تشينغ على نطاق الانتاج الحرفى بشدة . ويتضح لنا أن الأنظمة الاقطاعية هى التى كانت تعوق تطور الرأسمالية ، لذا ، تقدمت الرأسمالية الى الأمام بطيئة جدا آنذاك .

فساد السياسة وتشديد الاستغلال الاقطاعى

خطت أسرة تشينغ الى تعزيز الحكم الدكتاتورى الاقطاعى خطوة اوسع من السابق . . ورثت نظام السلطة المركزية من أسرة مينغ مجسدة بتأسيس مجلس الوزراء الذى يضم ستة وزارات ، ثم اقامت هيئة المجلس الاستشارى الامبراطورى كنواة لادارات الدولة عام ١٧٢٩ ، والهيئة مسئولة عن السياسة والحرب فى البلاد ، ووزير الهيئة يتلقى الأوامر والتعليمات من الامبراطور فى خشوع وكان الامبراطور يكاشفه عن الأسرار و الشئون الهامة للدولة ، يمثل الوزير بين يديه ويكتب أوامره فى كراس يوزعه على مجلس الوزراء والوزارات ورؤساء المقاطعات والقواد والوزراء . . . ، وآنذاك ، انقسمت جيوش تشينغ الى ثمانية ألوية بعضها فى العاصمة بكين والبعض الآخر فى المدن الهامة بالبلاد بقصد السيطرة على أبناء القوميات المختلفة فكريا .

وكذلك شنت حكومة تشينغ حملات لتكميم افواه الكتاب بل جرى اعتقالهم اكثر من مائة مرة ، مستهدفة كبح أفكار المثقفين الخارجين على اسرة تشينغ . حدث ان الف داى مينغ شى كتابا بعنوان : « ديوان الجبل الجنوبى » يصف فيه الحقائق الواقعية ضد أسرة تشينغ والتى حدثت فى الفترة بين اسرتى مينغ وتشينغ . وعندما صدر الكتاب غضب الامبراطور كانغ شى فالقت حكومة تشينغ القبض على الكاتب . وسفكت دمه وبلغ من لهم صلة بقضيته عدة مئات . ومثل آخر ، نظم الشاعر شيوى جيون قصيدة يقول فيها : « . . النسيم العليل لايقرأ فلماذا يقلب الصفحات خبط عشواء » ، كلمة النسيم العليل فى القصيدة معناها تشينغ فى اللغة الصينية ، فاتهم الحكام الشاعر بأنه يعمد الى الاستهزاء بأسرة تشينغ لذا سفكوا دمه . وفى ذلك الوقت ، لم يجرؤ احد من المثقفين حتى ولو مجرد السؤال عن السياسة او يمعن فى الاطلاع على الكتب القديمة نتيجة للارهاب الثقاق .

توسعت الهيئات الحكومية لأسرة تشينغ كما كان الموظفون كبارا او صغارا سفهاء غير قادرين على شىء من الأفعال وعم الفساد والرشوة كل مكان . وتواترت على ألسنة الناس كلمات مثل : « من حكم منطقة زاهدا عن الرشوة ثلاث سنوات انصب فى جيبه مائة الف تايل من فضة » مثلا ، كان خه شن قد تولى رئاسة

مجلس الوزراء عشرين سنة وتقاضى من الرشوة ما قدر بألف مليون تايل من الفضة ، يوازى دخل حكومة تشينغ الاجمالى فى عشرين سنة .

ونهب الحكام من القوميات المختلفة برئاسة نبلاء تشينغ مساحات شاسعة من الحقول المزروعة . وما ان جاوز جيش تشينغ قلعة شانهاى حتى اصدرت حكومة تشينغ أوامرها بـ « احتلال الحقول المزروعة » ، فشنت ثلاث حملات احتلت فيها مليون هكتار من الحقول المزروعة فى المحافظات والولايات القريبة من عاصمة بكين ووزعتها على النبلاء والضباط والجنود ، فضاق الشعب بذلك ذرعا شديدا ، ثم الغيت الأوامر المذكورة بيد أن حالة احتلال الحقول المزروعة ازدادت خطورة على يد الأمراء والنبلاء وكبار الموظفين وملاك الأراضى الكبار . . استولى الامبراطور والدولة الاقطاعية على مساحات هائلة من الحقول الاميرية . لنأخذ مثلا آخر يتعلق برئيس مجلس الوزراء خه شن : امتلك اكثر من خمسين الف هكتار . وكانت عائلة هاو فى محافظة هوايرو ، مقاطعة خبى ، تمتلك سبعين الف هكتار تقريبا . واضافة الى ذلك تقاضى ملاك الأراضى من الفلاحين الأجراء أجورا عالية من الأموال أو الغلال . فافلست العوائل من القوميات المختلفة بفضل الاستغلال والاضطهاد من قبل طبقة ملاك الأراضى .

النضالات ضد أسرة تشينغ

استوطن أبناء قومية مياو فى مقاطعة قويتشو وغرب مقاطعة هونان . وكان نبلاء قومية مانتشو وملاك الأراضى من قومية هان ينهبون منهم مساحات شاسعة من الأرض . فالتجأ أبناء مياو مضطرين الى المناطق الجبلية المجدبة ، حيث عاشوا عيشة لاتطاق .

وقام أبناء قومية مياو بقيادة شى ليو دنغ بالانتفاضة المسلحة فى محافظة تونغرن ، مقاطعة قويتشو ، عام ١٧٩٥ ، ونهضت جماعة اخرى بقيادة وو با يويه غرب هونان استجابة لدعوة الجماعة الأولى فرفع المتمردون شعار : « مطاردة الغرباء واستعادة الحقول القديمة » ، عاقدين العزم على مطاردة الطغاة من نبلاء قومية مانتشو وملاك الأراضى من قومية هان واعادة الحقول المزروعة الى أصحابها . فبعثت حكومة تشينغ قوات عسكرية لتمارس القمع الدموى ،

فقال المتمردون : « لدى الحكومة عشرات الآلاف من الجنود والضباط ولدينا الجبال الناطحة الشحاب ، ومتى جاء العدو انسحبنا ومتى رحل عدنا » . فلما شن جيش تشينغ هجمات عليهم انسحبوا الى الجبال . وعند انسحاب الجيش فاجأوه بشن الهجمات . فاستنفرت حكومة تشينغ القوات العسكرية من سبع مقاطعات ، « قويتشو وهونان وغيرهما » حتى اطفئت نار التمرد عام ١٨٠٦ .

وقامت الانتفاضة المسلحة باسم دين اللوتس الأبيض على امتداد مقاطعات هوبى وسيتشوان وشنشى عام ١٧٩٦ . اذ ان جماعات من الفلاحين افلست فى أواخر عهد الامبراطور تشيان لونغ (١٧١١ – ١٧٩٩) فلجأت جماعة الى الغابات والمنطقة الجبلية المتصلة بالمقاطعات المذكورة سابقا وكان بعضهم يزاول استصلاح الارض البور وبعضهم الآخر يعملون فى المناجم . فانتهز دعاة الدين تلك الفرصة لنشر تعاليمهم فيما بينهم وقالوا : « من يتدين بدين اللوتس الأبيض يحصل على قدر معين من الحقول المزروعة حين تنقلب الاحوال رأسا على لقب » . فدخل الفلاحون جماعة فجماعة فى الدين تواقين الى الحصول على حصصهم من الحقول . فوجهت حكومة تشينغ أوامرها الى أن تسفك دماء المتدينين باللوتس الأبيض على نطاق واسع . وفى الحال ، نهض المتدينون قرب منطقة جينغتشو بمقاطعة هوبى يرفعون راية التمرد وتبعهم المتشردون غرب مقاطعة هوبى وشرق سيتشوان وهم يصرخون : « الحكومة تجبر الرعايا على التمرد » . وأينما وصل أفراد قوات الانتفاضة ارشدهم الفلاحون ورتبوا لهم السكن والمبيت وزودوهم بالغلال والحيوان والبارود والرماح . وكانت وانغ تسونغ ار من مدينة شيانغيانغ ، مقاطعة هوبى ، وهى بطلة من المتدينات بدين اللوتس الأبيض وماهرة فى عمليات القتال ، انتخبت قائدة عامة لقوات الانتفاضة . انتقلت قوات الانتفاضة بقيادتها الى مقاطعات هوبى وشنشى وسيتشوان وانضم اليها مائة ألف شخص أو أكثر .

ووجهت حكومة تشينغ أوامرها الى ملاك الأراضى ان يعملوا على اقامة القوات المسلحة المحلية والقلاع المحيطة بالمدن او الأرياف وقطع المعونات والامدادت التى نقلت الى قوات الانتفاضة . وقد حشدت الحشود من مختلف المقاطعات تشن الهجمات على قوات الانتفاضة التى ثابرت على الكفاح اكثر من تسع سنوات حتى اطفئت نار التمرد على يد حكومة تشينغ عام ١٨٠٥ .

الكفاح من اجل توطيد الدولة الموحدة المتعددة القوميات

نجحت أسرة تشينغ الملكية (١٦٤٤ — ١٩١١) فى توطيد الدولة الموحدة البالغ عدد قومياتها اكثر من خمسين ، بعد تهدئة المتمردين فى حدود البلاد .

القضاء على اضطرابات نبلاء زونغاريه

انقسمت قومية المغول بين اواخر أسرة مينغ (١٣٦٨ — ١٦٤٤) واوائل أسرة تشينغ الى ثلاث فئات كبرى : مغول موثان ومغول موبى ومغول موشى . كان مغول موثان انتشر فى غرب جبال آلتاى وشرق وجنوب بحيرة بلكاش وشمال جبال تيانشان وفى بعض الاجزاء من تشينغهاى . وقد اذعن مغول موثان لأسرة تشينغ قبل ان يدخل جيش تشينغ قلعة شانهاى . وبعد ذلك ، تبعتهم الفئتان الاخريان .

تنقلت قبيلة زونغاريه من مغول موشى فى حوض نهر ايلى لرعى الماشية ثم اشتد ساعدها تدريجيا فى اوائل عهد أسرة تشينغ ، وبعد ذلك ، ضمت القبيلة بقيادة النبيل جالدان سائر قبائل موشى وامتد نفوذها الى جنوب جبال تيانشان فى عام ١٦٧٧ . وقد نصب نفسه « خان » القبائل فكتب الى الامبراطور كانغ شى الذى جلس على عرش الحكم فى الفترة بين عامى ١٦٦١ و ١٧٢٢ يقول : « لك يا صاحب الجلالة الامبراطور السيادة على الجنوب وانا لى الشمال » قاصدا من وراء ذلك تجزئة الوطن الأم . وارسل مبعوثه الى روسيا القيصرية سنويا بين عامى ١٦٧٢ و١٦٨٣ بهدف التواطؤ مع روسيا القيصرية لتهديد مغول موبى وشن الهجمات عليهم اعتمادا على روسيا القيصرية . وفى عام ١٦٨٨ ، توجه جالدان على رأس جيوشه الى الشرق وشن الهجمات على مغول موبى . كما الذى تلا التقيع على اتفاقية نيبوتشو عام ١٦٨٩ مدعيا مطاردة مغول موبى ، جمع الحشود لمهاجمة منغوليا الداخلية تؤازره القيصرية عام ١٦٩٠ أى فى العام الذى تلا التوقيع على اتفاقية نيبو تشو عام ١٦٨٩ مدعيا مطاردة مغول موبى ، ويعود ذلك الى التحالف السرى بين المندوب الروسى ومبعوث جالدان .فأضرم

ثار التمرد على حكومة تشينغ المركزية تدفعه الى ذلك روسيا القيصرية . قاد الامبراطور كانغ شى بنفسه الجيش للقضاء على التمرد ، فتلاقى الطرفان فى اولا نبوتونغ (جنوب شواطئ شيرامولون فى المجرى الاعلى لنهر لياوخه ، جنوب لواء كاشكاتنغ ، ولاية جاوودا بمقاطعة لياونينغ ، حاليا) . وفى الحال ، نشبت الاشتباكات العنيفة واصيب جالدان بهزيمة ساحقة فهرب بمن تبقى من فلول جيشه .

ثم توجه جالدان بحشد عرمرم عام ١٦٩٥ الى شرق نهر كادولون . فذهب الامبراطور كانغ شى مرة ثانية برجاله الى مواجهة الاعداء عام ١٦٩٦ ، وهزم جماعة جالدان فى جنوب شرق اورغا (اولانباتور عاصمة جمهورية منغوليا الشعبية ، حاليا) ، ولم يتبق مع جالدان الا عشرات من الفرسان . حينذاك ، نهض ابناء قوميتى الويغور والقازاق فى شينجيانغ والمغول فى تشينغهاى يقاومون حكم جالدان الوحشى وكذلك ابناء نبلاء زونغاريه . فوجد جالدان ان لا مناص له من النهاية المحتومة فانتحر بتناول السم . ومن ثم استأنفت حكومة تشينغ السيطرة على مغول موبى فى شرق جبال آلتاى . وبالاضافة الى ذلك منحت القابا ووظائف رسمية للنبلاء المغول لتوطيد حكمها وسيطرتها عليهم . وبعد ذلك ، عينت حكومة تشينغ قائد الجيش اولياسو تاى عام ١٧٣٣ حاكما لاربع مناطق (٥) من خالكا كبودو و تانو اولياتغهاى اللتين اطلق عليهما الناس منغوليا الخارجية منذ اواخر عهد أسرة تشينغ .

اثار آمورسانا احد النبلاء من قبيلة زونغاريه اضطرابات وقلاقل عام ١٧٥٥ ، بمساعدة روسيا القيصرية ، فبعث الامبراطور تشيان لونغ (تولى سلطة الحكم فى الفترة بين عامى ١٧٣٦ — ١٧٩٥) مجموعتين من الجيوش التقتا فى ايلى لشن الهجمات عليها وقضتا على التمرد عام ١٧٥٨ ، هذا وقد تحطمت مؤامرات روسيا القيصرية فى الاغارة على مناطق شمال غربى الصين .

القضاء على تمرد النبلاء فى حدود هوى

كان الويغوريون هم القومية الرئيسية من القوميات الساكنة فى الطريق الجنوبى بجبال تيانشان من شينجيانغ فى عهد اسرة تشينغ كما يعتنق ابناؤها دين الاسلام ، لذا ، اطلقت حكومة تشينغ لقب حدود هوى على الطريق الجنوبى

بجبال تيانشان . اشعل الخواجا الاكبر واخوه الاصغر ، الخواجا الاصغر من القومية الويغورية نار التمرد بعد القضاء على اضطرابات زونغريه . فبعث الامبراطور تشيان لونغ عام ١٧٥٨ الذى جعل الدماء تسيل انهارا وانتهت الحرب بفرار الخواجا الى الغرب ولكنه قتل بعد مدة قصيرة ، ثم استأنفت حكومة تشينغ توحيد منطقة شينجيانغ فعينت حاكما على ايلى عام ١٧٦٢ مستهدفة السيطرة على جنوبى جبال تيانشان وشماليها كما انتشرت جيوش تشينغ فى انحاء شينجيانغ وانشات مواقع الحراسة مما ادى الى تعزيز حماية شمال غربى الصين من الاضطرابات والقلاقل .

جيهانغير حفيد الخواجا الاكبر ، تمرد فى العشرينات من القرن التاسع عشر ، فاتصل بالمستعمر البريطانى فى افغانستان منذ شبابه وجعلت بريطانيا من جيهانغير دمية فى يدها للاغارة على شينجيانغ . فتسلل جيهانغير الى جنوبى شينجيانغ عام ١٨٢٦ وبدأ يجمع نبلاء الويغور لاثارة التمرد بينما بعثت معه بريطانيا جواسيس يعملون كمستشارين له وزودته بالاسلحة الجديدة وساعدته على تجنيد المتمردين . ثم وقع جيهانغير اسيرا بيد جيش تشينغ عام ١٨٢٨ ، فانتهى التمرد .

تعزيز سلطة الحكم على التبت

استقبل الامبراطور شون تشى (١٦٣٨ — ١٦٦١) الدالاى لاما الخامس زعيم دين لاما فى اوائل عهد أسرة تشينغ . كلمة دالاى معناها البحر ، ولاما معناها الاستاذ الاعلى . وهذا اللقب يطلق على رجال الدين اللامى . وفى اثناء المقابلة منح شون تشى له لقب الدالاى لاما تعظيما له . وكذلك منح لقب بانتشان اردنى للبانتشان الخامس وهو زعيم آخر من زعماء الدين اللامى . اما بانتشان فمعناها الاستاذ الاعظم ، واردنى معناها الجوهر . ومن ثم تأكدت منازلهما الدينية على يد حكومة تشينغ . ثم قررت الحكومة المركزية تطبيق نظام منح اللقب للخلف بالوراثة على اجيال مختلفة . ثم عينت اسرة تشينغ عام ١٧٢٧ وزيرا مقيما فى لاسا يمثل الحكومة المركزية . وبعد ذلك ، قررت أسرة تشينغ فى عام ١٦٩٣ ان يشارك الدالاى لاما والبانتشان فى ادارة شؤون التبت . مما ادى

الى تعزيز سلطة الحكومة المركزية الموجهة الى ادارة التبت .

اراضى الصين وابناء القوميات المختلفة فى اسرة تشينغ

فى اوائل عهد اسرة تشينغ جاوزت اراضى الصين جبال البامير غربا ، وامتدت الى ضفة بحيرة بكاش الشمالية فى الشمال الغربى واتصلت بسيبيريا شمالا ، وامتدت فى الشمال الشرقى الى منطقة جبال شينغآن الخارجية وجزيرة سخالين شمال نهر هيلونغ ، واطلت على المحيط الهادى شرقا بينما امتدت الى جزيرة تايوان والجزر التابعة لها فى جنوب شرقيها ، مثل : جزيرة دياويوى وجزيرة تشيوى وجزر بحر الصين الجنوبى جنوبا .

اما جزر بحر الصين الجنوبى بما فيها جزر شيشا ودونغشا وتشونغشا ونانشا وجزيرة هوانغيان (الصخور الصفراء) وغيرها فكانت تابعة للصين منذ قديم الزمان . حينذاك ، كانت جزر بحر الصين الجنوبى كما وردت فى المدونات التاريخية ، مسماة : «تشانغشا الممتدة الى عشرة آلاف لى ، البركة الصخرية الممتدة الى الف لى» وتتبع محافظة وانتشو بولاية تشيونغتشو بمقاطعة قوانغدونغ .

لقد عاش فى اراضى الصين الشاسعة من عهد اسرة تشينغ اكثر من خمسين قومية منها : هان ، مانتشو ، المغول ، هوى ، التبت ، ويغور ، مياو ، يى ، تشوانغ ، بو يى ، كوريا ، ياو ، القازاق ، داى ، لى ، قاوشان ، جينغبوه ، داوور ، اوينك ، اولونتشون ، اويا ، كل واحدة منها ساهمت مساهمات معينة فى تأسيس الوطن الأم . وقد اقامت حكومة تشينغ دائرة خاصة بادارة شئون الاقليات القومية . وتعززت الاواصر والصلات اقتصاديا وثقافيا بين القوميات المختلفة فى ظل سلطة تشينغ الموحدة وخطت المناطق فى حدود البلاد خطوة واسعة الى مرحلة التنمية وتم توطيد الدولة الموحدة المتعددة القوميات .

دخل كثير من ابناء قومية مانتشو قلعة شانهاى فى اوائل عهد اسرة تشينغ بينها هاجر عديد من ابناء قوميتى هان وهوى الى المناطق خارج قلعة شانهاى شمال شرقى الصين فانشئت مجمعات سكنية على يد ابناء قومية مانتشو وغيرهم حتى تجول شمال شرقى الصين الى منطقة متطورة الزراعة تدريجيا .

كانت قوميات داوور واوينك واولونتشون وغيرها مسماة باسم سولون

فى أسرة تشينغ وانتشرت على اودية المجرى الاوسط والاعلى لنهر هيلونغ خارج جبال شينغآن واودية نهر جينغتشيلى (نهر جيهيا ، حاليا) المتفرعة من نهر هيلونغ او على جزيرة سخالين ، ثم هاجرت الى اودية نهر نونجيانغ على ضفة نهر هيلونغ الجنوبية بسبب الاغارات من قبل روسيا القيصرية ، حيث عاشت قومية داوور على الزراعة والرعى بصورة رئيسية وتنقلت قوميتا اولونتشون واوينك وراء الصيد فتردد ابناؤهما على الغابات لصيد السمور او على الاودية لاخراج نبات جنسنغ العلبى وعملوا على تربية الرنة متخذين منها مطاياهم ، وزودوا ابناء قومية هان بالجنسنغ وفرو السمور وقرون الايائل مقابل الغلال والاقمشة والآلات الحديدية . وانتشرت قومية ختشه على امتداد المجرى الاسفل لنهر هيلونغ وعمل ابناؤها على صيد الحيوان وصيد الاسماك من النهر . ومن عادات ختشه استخدام الكلاب فى جر الزحافات الجليدية شتاء .

كانت منطقة منغوليا وفيرة المواشى فهاجرت اليها جماعات كبيرة من ابناء قومية هان فى اوائل عهد اسرة تشينغ حيث عملوا على استصلاح الاراضى البور فى منعطف النهر الاصفر وشرق منغوليا الداخلية واشتغلوا بالزراعة فيها وعلموا ابناء المغول فن الزراعة والفلاحة حتى استوعبوا فن زراعة الارض والفلاحة وكان ابناء المغول من هواة العزف على العود على شكل رأس الحصان والغناء وسرد الحكايات بينما اتقنوا فنون الفروسية والرماية والمصارعة وغيرها .

انتشر ابناء قومية هوى فى انحاء البلاد واستوطن منهم الكثير فى مناطق نينغشيا وقانسو وشينجيانغ ، وطاب المقام لعدد غير قليل منهم فى مقاطعات خبى ، خنان ، تشنغهاى ، يوننان وغيرها . وقومية هوى كلها تدين بدين الاسلام وساهم ابناؤها مساهمات نشيطة فى تنمية منطقة شمال غربى الصين وكذلك ساهم تجارهم فى تطوير الاقتصاد بين حدود الصين ومناطقها الداخلية .

استوطن فى شينجيانغ كثير من الاقليات القومية حيث عاشت قومية القازاق بشماليها على الرعى والقومية الويغورية فى جنوبيها على زرع القمح والذرة والقطن والكروم والشمام وجلبت المياه الذائبة الثلوج من جبال تيانشان تارة والمياه الجوفية لرى الحقول تارة اخرى . واعتادت حفر الآبار واسمتها آبار

كار ، وطريقة حفر الآبار كالتالى : حفر حفرة بين كل ٢٠ — ٣٠ مترا ثم الحفر الى جانبيها حتى تشكل جدولا طويلا فى جوف الارض يتصل احد طرفيه بمصادر الماء وطرفه لآخار بالقناة فوق الارض حتى تجرى المياه من جوف الارض الى الحقول . كما كان الصناع الويغوريون مهرة فى الحرف اليدوية واخرجوا كميات هائلة من الحرائر والطنافس واليشم ، والتى وجدت رواجا فى انحاء البلاد . والجدير بالذكر ان ابناء الويغور مهرة فى الغناء والرقص .

وانتشرت قومية التبت فى هضبة تشينغهاى — التبت ، وعاشت على الرعى والزراعة واعتادت غرس شعير تشينغكوه فى منبسطات الهضاب جنوب التبت بينما ترددت على المروج شمال التبت لرعى ابقار الياك والاغنام . وكذلك تفنن ابناء التبت فى الرقص والغناء . واتموا تشييد قصر بوتالا على ضفة نهر لاسا فى اوائل عهد اسرة تشينغ ، علوه ١٣ طابقا وهو يبدو عظيما ضخما وفخما وحيطانه مزدانة بالجداريات الزاهية التى تصور الاساطير الدينية وتاريخ القومية التبتية .

انتشرت قومية تشوانغ فى مقاطعات قوانغشى ، يوننان ، هونان ، قوانغدونغ وغيرها وعاشت على الزراعة والرعى ، وكان ابناؤها مهرة فى الغناء وكلما حلت مواسم الربيع والخريف انتشرت المباريات فى الاناشيد الشعبية .

والقوميات : مياو ، ياو ، يى المستوطنة فى جنوب غربى الصين ، ولى فى جزيرة هاينان وقاوشان فى جزيرة تايوان ولكل منها تاريخ طويل ، وقدمت كل واحدة نصيبها من الحضارة والثقافة على أرض الوطن .

* انضم مغول موبى الى الخان توشهتو والخان تشهتشن والخان جاساكهتو . ثم ظهر الخان سانينويان من المنطقة الاولى عام ١٧٢٥ ومن ثم تشكلت المناطق الأربع وسميت (مغول خالكا) .

الصين من اقدم بلاد العالم حضارة وتاريخها المكتوب يعود الى اربعة آلاف سنة . يضم ترابها كنوزا اثرية وفيرة فتشكل علامة بارزة على حضارتها العريقة . وقد بدأت مجلة (بناء الصين) من شهر اكتوبر ١٩٧٨ فى نشر سلسلة من تاريخ الصين . وقد جمعناها للتسلسل التاريخى — يجمعها هذا الكتيب ، بناء على رغبات قرائنا الكرام .

يقع الكتيب فى جزئين ، الجزء الاول يضم نشاطات الانسان فى عصور البدائية والمجتمع العبودى وبعض الفترات من المجتمع الاقطاعى (قبل القرن العاشر الميلادى) — ١٥ مقالة . اضافة الى الصور الاثرية والايضاحات بالرسوم .
والجزء الثانى سيضم تاريخ الصين من القرن الحادى عشر الى نهاية المجتمع الاقطاعى فى اوائل القرن العشرين .

الثقافة فى عهد أسرة تشينغ

اخذت حضارة الصين فى ايام اسرة تشينغ الملكية (١٦٤٤ – ١٩١١) تتطور حثيثا ، فتقدمت علوم الفلك والتقويم والطب . وبدأت الافكار الديمقراطية للطبقة المدينية الناشئة تنعكس فى الاعمال الادبية بسبب ظهور براعم الرأسمالية .

العلوم والتاريخ

احرزت العلوم الطبيعية وخصوصا علوم الفلك والتقويم فى اسرة تشينغ منجزات مرموقة . . كان الامبراطور كانغ شى (١٦٥٤ – ١٧٢٢) ضليعا فى الفلك والرياضيات وعلق شخصيا على كتاب « علم التقويم » من تأليف مى ون دينغ (١٦٣٣ – ١٧٢١) عالم الرياضيات الفذ والبارع فى علم التقويم الصينى والاجنبى . وقد كتب مى ون دينغ سلسلة من مؤلفات علمية جديدة بلغت اكثر من ٨٠ مؤلفا بعد المقارنة والجمع بين العلم الفلكى والرياضيات الصينية والمعارف الفلكية والرياضيات الأجنبية المتقدمة ومنها كتاب « التقويم القديم والحديث » ، اول كتاب حول تاريخ علم التقويم فى بلادنا ،

مينغ آن تو (؟ – ١٧٦٥) عالم بارز من القومية المنغولية فى ايام تشيان لونغ . وقد انحدر من منطقة شيلينقهله من منغوليا الداخلية وبرزت قدرته فى الرياضيات وهو فى ربيع الشباب . وكان يلازم دائما الامبراطور كانغ شى بوصفه مستشارا علميا له . . وفيما بعد ظل يعمل فى دائرة الابحاث الحكومية حول التقويم والفلك لمدة خمسين سنة ، وقد اشترك فى مسح ورسم الخرائط على نطاق البلاد فى اوائل اسرة تشينغ وكتب اول كتاب خاص بنظريات المتواليات الرياضية فى بلادنا . . ذلك لمهارته وبراعته فى علوم الفلك والجغرافيا والرياضيات

كتاب « الكامل فى الطب » هو كتاب شهير تم تأليفه بأشراف الحكومة فى عهد تشيان لونغ (١٧١١ – ١٧٩٩) . وهو يلخص ويقدم بشكل متسلسل الطب الصينى التقليدى ويجمع كمية هائلة من الوصفات الممتازة المتوارثة .

كانت حكومة اسرة تشينغ قد نظمت اعدادا كبيرة من العلماء والمثقفين فى تأليف الكتب المختلفة ومنها « مختارات من الكتب القديمة والحديثة » و« المؤلفات الكلاسيكية الشاملة الصينية » الشهيرة .

« مختارات من الكتب القديمة والحديثة » تمت فى عهد كانغ شى ويونغ تشن (١٧٢٢ — ١٧٣٥) وهى تضم ٦ فروع من العلوم ، منها التقويم الفلكى والفنون والاقتصاد . كل فرع ينقسم الى ابواب كثيرة زاخرة بالمعلومات القيمة وخاصة فيما يتعلق بتاريخ الاقتصاد وهى ذات قيمة واهمية وتضم ١٠٠٠٠ مجلد .

« المؤلفات الكلاسيكية الشاملة الصينية » هى مجموعة ضخمة الحجم تمت فى عهد تشيان لونغ وتنقسم الى اربعة فروع اى « جينغ شى تشى حى » (معناها الكتب الكلاسيكية والتاريخ والفلسفة من المدارس المختلفة والآثار الأدبية المختلفة) وتقع تحت ٣٤٥٧ عنوانا فى ٣٦٠٠٠ مجلد وتعتبر اكبر مجموعة فى بلادنا وتحفظ كثيرا من الوثائق القديمة المهمة . وبعد اتمام تأليفها استنسخ منها سبع مجموعات حفظت فى بكين وتشنغده وشنيانغ ويانغتشو وتشنجيانغ وهانغتشو ومنها ثلاث قد احرقت وثلاث أخرى حفظت فى بر الصين وواحدة فى تايوان .

مشاهير الادباء

تساو شيويه تشينغ أديب عظيم فى اسرة تشينغ (؟ — ١٧٦٣ او ١٧٦٤) ، وروايته « حلم المقصورة الحمراء » — من الأدب الصينى الخالد (ظهرت لها ترجمة باللغة الانكليزية فى ثلاثة مجلدات) .

ولقد عاش تساو فى ايام الازدهار فى اسرة تشينغ ، وعاصر الاباطرة : كانغ شى ويونغ تشن وتشيان لونغ . ومن المعروف ان جده واباه كانا يتوليان مسئولية المنسوجات الحريرية المستخدمة فى البلاط الامبراطورى فى جيانغنينغ (نانكين حاليا) ، حيث قضى ايام طفولته هنالك . . وفيما بعد هبت رياح التغيير على حياة اسرته الارستقراطية فهوت الى درجة ادنى ، فانتقلت الى مدينة بكين . والحياة الدنيا هذه قربته من حياة الشعب من الطبقة الدنيا فلمس عن

قرب ما يرزحون فيه من فقر وعرف الكثير من واقع المجتمع بسبب التبدل الشديد فى مكانته الاجتماعية وبيئته الحياتية ، وبالتالى انعكست تلك التغيرات على مشاعره وعواطفه ، وكتب فى حزن وفيظ روايته الطويلة الممتازة « حلم المقصورة الحمراء » التى تفضح وتنقد الحكم الاقطاعي . ولكن للأسف لم يتم عمله اذ توفى من الفقر والمرض وترك الرواية مخطوطة فى ٨٠ فصلا ، وجاء من بعده الأديب قاو أه (١٧٣٨ – ١٨١٥) فواصل فى كتابتها واضاف اليها ٤٠ فصلا .

تروى « حلم المقصورة الحمراء » قصة حب بين شاب وفتاة من أسرة ارستقراطية فى اواخر العهد الاقطاعي فى بلادنا وهما : جيا باو يوى ولينغ داى يوى . فقدت لينغ داى يوى ابويها وهى صغيرة وعاشت مع عائلة جدتها ونشأت مع باو يوى سويا . وربط الحب بين قلبيهما بفضل افكارهما المشتركة المتمردة على الاقطاع ولكن الطقوس الاقطاعية وقفت بين حبهما حاجزا صلدا فقتلته بلا رحمة . . واذ باو يوى قد انخدع وتزوج من شيويه باو تساى الفتاة الارستقراطية المدافعة عن الفكر الاقطاعي . وبين اصوات الموسيقى والطبول فى حفلة الزواج ، ماتت لينغ داى يوى حزينة من المرض . . اما باو يوى فهجر البيت حزينا كئيبا ، و تحول الى حياة الرهبنة . وفى هذه الرواية فضح الكاتب بشدة آثام الطقوس الاقطاعية والنظام الاقطاعى ، وكذلك اكتشف عبر وصف ازدهار وانحدار عائلة جيا والشخصيات المختلفة فيها ، اكتشف بعمق جوهر النظام الاقطاعى الفظيع وطابع طبقة ملاك الاراضى وبين اتجاه المجتمع الاقطاعى المحتم الى الهلاك . وهذه الرواية غنية المضمون ، شديدة التأثير الفنى حيث تركيبها ضخم ومنسق وحبكتها شديدة التعقيد مثيرة ولغتها حيوية واسلوبها جذاب اضافة الى شخصياتها المتميزة بالاخلاق المتباينة مثل جيا باو يوى ولينغ داى يوى الخارجين على الطقوس الاقطاعية وتشين ون ويوان يانغ الجريئتين على النضال ضد النفوذ الاقطاعى وجيا تشن المدافع عن الاقطاع ووانغ شى فنغ المتسلطة القاسية القلب . ان رواية « حلم المقصورة الحمراء » هى نموذج أدبى يجمع بين المضمون الفكرى والاسلوب الفنى وتحتل مكانة بارزة بين الآداب العالمية .

بو سونغ لينغ (١٦٤٠ – ١٧١٥) : كاتب قصص بارع امتاز فى

كتابة القصة القصيرة ، وقد اخرج « حكايات لياوتساى الغريبة » التى تحتوى على مئات القصص المثيرة فى لغة حيوية نابضة ودقة متناهية . وعبر الكاتب بهذه القصص الساحرة الحبكة بشخوصها من البشر والجان والعفاريت عن سخطه على المجتمع وفضح فيها بشدة ظلم المجتمع الاقطاعى وسياسته الفاسدة وكذلك هاجم بلا هوادة الموظفين المختلسين والعتاة المحليين والوجهاء الاشرار . وهذه القصص تضم كثيرا من قصص الحب والغرام وتعبر عن رغبات الشباب وتصرفاتهم الجريئة على كسر اغلال القيود الاقطاعية الذين رسفوا تحت اغلال الضغط والاضطهاد الاقطاعية . واتخذ الكاتب فى هذه القصص ، كأبطال ، كثيرا من الفتيات الفاتنات الساذجات . الجريئات المخلصات فى حبهن ، الأمر الذى يمثل بروز الافكار المتقدمة .

والى جانب هذا وذلك هناك بعض الروايات الشهيرة الاخرى فى تلك العصور ، مثل « المتأدبون » من تأليف وو جينغ تسى (١٧٠١ — ١٧٥٤) و(الزهور فى المرآة) لصاحبها لى رو تشن (١٧٦٣ — ١٨٣٠) ، وهما قصتان تزخران بالسخرية . الاولى تسخر من الوجوه القبيحة من الطبقة العليا لمقاومة الطقوس الاقطاعية واسلوب القوالب الجامدة فى العلوم . اما القصة الثانية فتنتقد المظاهر غير العادلة الموجودة فى المجتمع مستعيرة عالم الخيال ، ويجدر بالذكر ان الكاتب فى روايته يدعو الى احترام النساء .

المسرحيات والرسوم والفن المعمارى

تطورت مسرحيات اسرة تشينغ على اساس المسرحيات فى عهد اسرتى يوان ومينغ . وانبثقت جماعة من المسرحيين المشهورين مثل هونغ شن (١٦٤٥ — ١٧٠٤) وكونغ شان رن (١٦٤٨ — ١٧١٨) . ان « قصر الشباب الخالد » تأليف هونغ شن تروى مأساة الحب بين الامبراطور شيوان تسونغ لاسرة تانغ (٦٨٥ — ٧٦٢) ومحظيته يانغ قوى فى . ومسرحية « مروحة زهور الخوخ » لكونغ شان رن تحكى قصة حب المغنية لى شيان جيون وتكشف ظلم المجتمع فى اواخر اسرة مينغ وعفونة سياستها وتشير الى اسباب هلاك اسرة مينغ الملكية .

فى ايام تشيان لونغ ، ظهرت اوبرات محطلية مختلفة ، جاءت الى بكين واحدة تلو أخرى بلا انقطاع . وبعد عهد جيا تشينغ (١٧٩٦ – ١٨٢٠) ، دخلت اوبرا تشين (اوبرا فى مقاطعة شنشى و قانسو) ووابرا كون (اوبرا جيانغسو وتشجيانغ) واوبرا هوى (اوبرا آنهوى) الى بكين وتشكلت اوبرا جديدة بعد امتزاجها وهى اوبرا بكين التى تتخذ شى بى وارهوانغ كلحن أساسى.

واما عن رسوم اسرة تشينغ فتمتاز بأسلوب فريد . . وكذلك انبثق كثير من الرسامين المشهورين . وفى السنوات ما بين عهدى شون تشى (١٦٣٨ – ١٦٦١) وكانغ شى اشتهرت رسوم المناظر الطبيعية لوانغ شى مين (١٥٩٢ – ١٦٨٠) ووانغ جيان (١٥٩٨ – ١٦٧٧) ورسوم الزهور ايون شو بينغ (١٦٣٣ – ١٦٩٠) . اما فى فترة تشيان لونغ فظهر « المشاهير الثمانية فى يانغتشو» اى جين دونغ شين وتشنغ بان تشياو ولوه ليانغ فنغ ووانغ شى شن وهوانغ شن وقاو شيان ولى شيان ولى فاو ينغ ، وقد اسهم كل منهم فى تطوير تقاليد الرسوم الصينية وعلى الاخص فى رسوم المناظر الطبيعية والشخصيات والزهور والطيور مما شق طريقا جديدا للفنون الجميلة فى بلادنا .

صارت الفنون المعمارية فى ايام اسرة تشينغ اكثر جمالا وروتقا عن ذى قبل . ومثال ذلك حديقة يوان مينغ يوان المشهورة فى العالم . . بدىء فى بنائها فى عهد كانغ شى وانتهى العمل منها فى عهد تشيان لونغ . وطول محيطها ١٥ كيلومترا وتحتوى على ١٥٠ منظرا أخاذا متكونة من الجواسق البديعة والقصور الأنيقة والتلال والبحيرات الاصطناعية ، وفى كل البنايات الآثار النفيسة والاعمال الفنية . انها حقا حديقة نادرة ومتحف ضخم . . ركز فيها المعمار التقليدى الصينى وخلاصة المعمار الغربى . ومما يدعو للاسف الشديد انها قد تعرضت الاحراق على يد الغزاة البريطانيين والفرنسيين فى عام ١٨٦٠ ، ليس هذا فقط ، بل نهبوا منها كمية طائلة من النفائس والآثار .

«长城丛书»
«中国古代史»（下）（阿）
*
中国建设出版社出版（北京）
中国国际图书贸易总公司发行
北京399信箱
外文印刷厂印刷
1987年第一版
统一书号：17514.6
ISBN 7—5072—0033—7/Z·11
00504
17—A—1978PB

